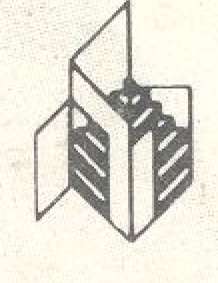
عاشق من مونت كارلو

مختارات قصصية

10



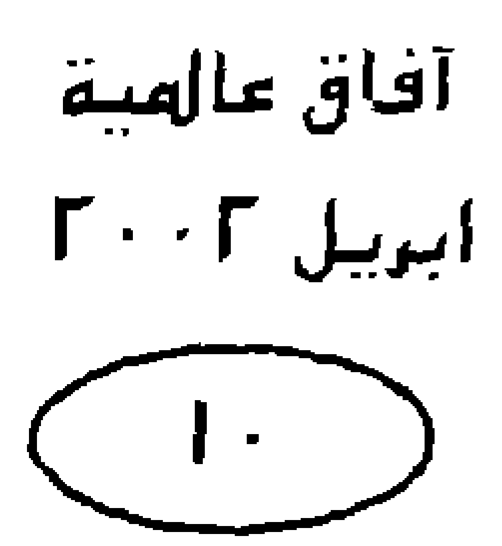
تعريب: عبد القادر حميدة



الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق عالمية


الهيئـــة العامة
لقصـور الثقافة


آفاق عالمية
ابريل ٢٠٠٢
١٠

عاشق من مونت كارلو

مختارات قصصية

تـأليـف :
أنطون تشيكوف
ف. باركـوس
وليم ساروبان
ليونارد فرانك
ستيوارت إمري
بى. ون
تعريب وتقديم :
عبد القادر حميدة

- لوحة الغلاف :

للفنان العالمى مانيه (١٨٣٢ - ١٨٨٣)

- التصميم الأساسى للغلاف :

عمر چهان

آفاق عالمية : سلسلة تعنى بنشر ترجمات مختارة

المراسلات : باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
١٦ أ ش أمين سامي - القصر العيني - رقم بريدي : ١١٥٦١

إهـــداء..

إلى حفيديَّ: محمد و نور

تقـــديم

من بين قراءاتى المبكرة، فى القصة القصيرة، باللغة الإنجليزية ـ بعضها مكتوب بها، والبعض الآخر ، مترجم إليها من لغات أخرى ـ تظل قصص هذه المجموعة ، لصيقة بذاكرتى . أثيرة لدى.

هذا لا يعنى أنها أفضل ما قرأت.

فما أكثر الأعمال الإبداعية، التى توهجت بها ـ دهشة، واستغراقا، وتوحدا حميما بمبدعيها ـ فى أماسى القراءت الظماى، إلى خوض العوالم الإنسانية المدهشة، لأولئك المبدعين الراسخين ، فى فنون القص.

ولا يعنى أيضا . . أن قصص هذه المجموعة، تمثل نماذج إبداعات مختارة ومنتقاة ، لكتاب مشاهير لدى جماهير القراء، بريادتهم فى مجال هذا الفن الممتع:القصة القصيرة.

فباستثناء، الكاتب الروسى ، ذائع الشهرة والصيت(أنطون تشيكوف) والكاتب الأمريكى الأدنى ذيوعا وانتشارا(وليم سارويان) .. أكاد أجزم ، أن القارئ العربى ،

لا يعرف الكثير، عن بقية كتاب هذه المجموعة، وأعنى بهم:

الأمريكى (ف . باركوس) والألماني(ليونارد فرانك)، والإنجليزي(ستيوارت إمري).

وأخيراً الكاتب الصينى(بى .ون).

بل ، لعل من بين حوافزى إلى ترجمة أعمال هؤلاء الكتاب كونهم غير معروفين لنا، نحن القراء العرب، . . فضلا عن كونهم-فى ذات الوقت- مبدعين إنسانيين.

ولقد يحضرنى هنا- وقد مضى على قراءتي، وترجمتى هذه القصص، أكثر من أربعين عاما- أن أسماء هؤلاء الكتاب، لم تغادر ذاكرتي، بمثل مالم يغادرنى فضول البحث عن أعمالهم- بعضها أو كلها- شوقا ، إلى أن أتعرف عليهم أكثر ،ومؤملاً ، أن أعرِّف بهم قارئا عربيا، أحسبه ، فى كل الأوقات، خليقا بالتعطش إلى الثقافة الإنسانية، من ينابيعها المتعددة.

غير أن مكتباتنا العامة ، والخاصة-إضافة إلى مؤسسات الثقافة والنشر، وصناعة الكتاب- ليست مما تقيم وزنا لإنهاض الجسور بين صادرات العقول المفكرة، والمبدعة فى العالم .. وبين أشواق المثقف العربي، تجاه المعارف الإنسانية، فى آفاقها الرحيبة، وهو ما يعزو-لى- عزلتنا الثقافية الراهنة، فى تقوقعها، وانزوائها بعيداً، عن ثقافة

العصر، فى سباقها المحموم، نحو قرن جديد!!.

ولعلى أذكر هنا ، أيضا . . اننى حين قرأت قصة الكاتب الصيني(بى .ون) فى صحيفة تصدر باللغة الإنجليزية، توقفت طويلا أمام اسمه ، متسائلا: هل هو اسم لرجل . . أم لامرأة؟.

وكان ذلك راجعاً -بالطبع- إلى أن أسماء الكتاب الصينيين لم تكن متداولة، وقتذاك، فى محيط مانقرأ ، فضلا عن جهلنا باللغة الصينية، وبالتالى ما الذى تكون عليه ، علامات التذكير والتأنيث.

فلما عنَّ لى أن أترجمها .. وجدتنى مضطرا إلى حسم هذا (اللبس) لديَّ.

وهكذا،رحت أنقب فى عدد من المعاجم الأدبية، حتى ساقنى التنقيب والبحث ، إلى اسم كاتب صينى ، من مواليد القرن السابع الميلادى يدعى(لى . بى) .ومن لقب هذا الكاتب ، وضح لى أن (بى .ون) اسم لرجل ، وليس لامرأة.

ثم تصادف-فيما بعد- أنى تعرفت بالملحق الثقافى الصينى فى القاهرة، ودار بيننا حديث طويل، باللغة العربية الفصحي-التى يجيدها إجادة تامة-عن قصور الترجمة من الصينية إلى العربية، وبالعكس .وكيف أن هذا بالضرورة، يحرم المثقفين فى مصر، وفى الصين، من الاطلاع على آداب

البلدين، بينمــا بعض اللغــات الأخــري، كــالإنجليــزية، والفرنسيـة، والروسيـة، تحظى بفرص الترجمـة منهـا .. وإليها أيضا!!.

فلمـا وافقتـه علي مايقول . . رأيت أن أدلل على ذلك ، بما وقع لى من (اللبس) إياه . وكـان طبـيـعـيـا أن أحكى له، كيف أن كاتبا صينيا من مواليد عام٧٠١ ميـلادية، هو الذى حسم لى هذا(اللبس).

عندئذ شرد الرجل ببصره بعيداً . .فى المدى .

واسـتـدار بذاكرته إلى الوراء ، ثلاثة عشـر قـرنـا من الزمان . . ثم عاد يقول:

لقد عاش ذلك الكاتب-وهو بالمناسبة شاعر- فى عصر عــائلة(تانج) التى حكمت الصين ، منذ عــام٦١٨ إلى عــام ٩٠٧م.

وبالتحديد ، فى فترة حكم الإمبراطور(هيوان تسونج)، الذى ولد فى عام٧١٣م، وحكم الصين حتى عام٧٥٦م.

ولقــد كـــان الإمـــبـــراطور نفـــســـه شـــاعـــرا، وموسيقيا،ومسرحيا، ولهذا ، كان حفيا بالأدباء، والشعراء ، والفنانين، يستقبلهم فى بلاطه، ويغدق عليهم الهبات، وقد اشتهر فى عهده عدد كبير من الشعراء ، منهم(لى.بى) الذى أوضح لك(اللبس) وكان أكبر سنا من الامبراطور بأحد عشر

عاما.

ولقد عرف(لى .بى) بطبعه غريب الأطوار، إذ كان دائم الشك فى معنى وقيمة الحياة، وكان يعتقد أنها مهزلة، يتلهى فيها الأرباب بشئون الناس، ومصائرهم .وقد ساقه هذا الاعتقاد، إلى التحرر من كل قيد يكبل حريته الشخصية، متخذا من إدمانه الخمر وسيلة إلى ذلك، حتى قيل: إنه قد مات غرقا وهو فى حالة سكر شديد ، إذ قذف بنفسه إلى أعماق الماء، حين هيأ له السكر، أن يُقَبِّلَ صورة القمر المنعكسة على صفحته.

وسكت الرجل هنيهة ثم قال:

وأما عن الكاتب(بى.ون) فهو قاص معاصر.

إنه واحد من قوافل الكتاب الذين انضووا تحت لواء تعاليم ماوتسى تونج(١) فى الأدب والفن، وهذه التعاليم ، تقتضى أن يتوجه الكتاب والفنانون إلى الجماهير الجديدة من العمال، والفلاحين، والجنود وأفراد قياداتهم، وذلك، لكى يعبروا، فى كل مايكتبون ويبدعون، عن الطبقة المنتجة فى المجتمع.

هؤلاء المبدعون، إذن-باستثناء تشيكوف (٢)، وساروريان (٣)، المعروفين للقارئ العربي-التقيت بهم مصادفة، فى طريق قراءاتى المبكرة، بمثل ما يلتقى مسافر

ليل فى قطار، براكب جاء مقعده بجواره، أو أمامه، ودار بينهما حديث من طرف واحد، ثم نزل كلاهما فى محطته الأخيرة . . ثم لم يلتقيا . . بعد ذلك!.

وكان حريا بوجوه أصحاب هذه الحكايات ، أن تنزوى فى ركن من الذاكرة، أو أن تسقط منها بعض الوقت، أو كل الوقت، وذلك، بعد أن أفشيت إلى القراء-فى ترجمة عربية أمينة، ومحبة- قصة كل منهم ، فرادي، على صفحات الدوريات الثقافية المتخصصة، قبل أكثر من أربعين عاما . . لولا أن حكاياتهم تلك ظلت لصيقة بذاكرتي، أثيرة إلى ذكرياتى المبكرة، فى رحلتى مع القلم، ومع الإبداع.

كل قصة، من قصص هؤلاء الكتاب المبدعين ، زرعت شخوصها فى رأسي.

تطالعنى وجوههم حينا، من بين السطور، وأنا أتصفح بالذاكرة، أوراق شاب دون العشرين، يبحث عن ذاته المسكونة بالأصوات الغامضة، فى مواهب الآخرين، وإبداعهم . . وحينا، تلوح لى تلك الوجوه من بين الزحام، فى مواكب الجماهير المتدفقة، وهى تلهث نحو غاياتها الإنسانية .. فى غابة الحياة!!.

أبداً . . لم يغادرنى وجه الغانية(روث) فى قصة(الطفل)للكاتب الأمريكي ف.باركوس، وهى تلجأ إلى

حيلة بالغة الدهاء تحاول بها، أن تسترد الألفى دولار، اللتين سرقهما عشيقها(مارتان)من زوجها المحب الطيب- بإيعاز منها- حين كانت تخونه معه! وذلك، تخلصا من عذاب الضمير، الذى بات يؤرقها، وهى ترى زوجها فى مرضه الأخير، مشغولا عن هموم مرضه ، بهموم تأمين الحياة، لها، ولطفلهما الوحيد .. قبل أن يغادر الدنيا!!.

ولم يغادرنى وجه الساقى العجوز(روبرت) فى قصة(الطفل والسلام) للكاتب الألماني ليونارد فرانك (٤).

(روبرت) الذى فقد ابنه الوحيد فى الحرب . . تتوهج أحزانه، بأحزان الثكالي، والأرامل ، واليتامي، ومشوهى الحرب، وهو-بشيخوخته- يقود مظاهرة هادرة كالموج الغضوب. . منددا بالحرب .. داعيا إلى إقرار السلام.

حتى وهو يسقط مضرجا فى دمائه، إثر طلقة رصاص غادرة إلى صدره. . يظل وجهه شامخا فوق أكتاف الجماهير . . وعلى لسانه أمنية أب مكلوم : نريد السلام . . نريد السلام.

بل . . . لم يغادرنى وجه الطبيبة الإنسانية(سارة كولز) فى قصة(الفقر والحب) للكاتب الإنجليزي ستيوارت إمرى وهى تتوسل فى رجاء، بالغ العطف والعذوبة، إلى العاملة الفقيرة المريضة(إديث روهان) كى لا تتزوج من

الشاب الذى لم تحبه، وإن كانت فى مسيس الحاجة إلى الزواج منه، لكى يعولها، وينقذها من براثن الفقر والمرض.

وهاهى ذى الطبيبة تتكفل برعايتها صحيا، وماديا وروحيا. . حتى يتاح لـ(إديث) أن تقع فى الحب ، وتكتشف بنفسها كم هو رائع، ونبيل، أن يرتبط اثنان بالزواج، على أساس من الحب!.

وجوه كثيرة .. كثيرة . . لا أريد أن استسلم لتداعياتها فى الذاكرة، كى لا أفسد على القارئ بكارة الدهشة، وفضول الاكتشاف الممتع، لعوالم هؤلاء الكتاب الإنسانيين، وهم يسبرون غور الأحلام الإنسانية، فى أشواقها النبيلة . . للحياة.

نعم .. إنها وجوه تحمل أسماء أصحابها، فى شهادات الميلاد بلغات مختلفة .. وتتحدث ألسنتها لهجات متباينة. . وتحيا أجسادها، وأرواحها، فى أصقاع شاسعة، بعيدة، ومتفرقة!.

لكنهم جميعا، يحملون إلى الحياة شوقا واحدا، ينبض فى صدر الإنسانية كلها . إنه شوق الإنسان فى كل مكان، إلى حياة إنسانية تليق بادميته، وكرامته . حياة لا يقبح جمالها الفقر . . ولا يقهر عدلها الظلم، ولا يستبد بابنائها. . المغامرون، والأفاقون، والمتاجرون بالأرواح، والأرزاق،

والأمان، وطمأنينة الاستقرار، ونشوة الحب.

حياة . . لا مكان فيها للمرضي -نفسيا- بإزهاق الأحلام الوردية البسيطة، للحياة. . فى صدور الشعوب.

فيالهم، من كتاب إنسانيين، أولئك الذين يغمسون أقلامهم فى هموم الإنسان، المترعة بأحزان الحياة ، وأفراحها . . معا ! .

ويالنا من محظوظين، أن نلقاهم، وأن نتعرف عليهم ،وأن نقرأ أحزاننا، وأحلامنا ، وأشواقنا ، فيما يكتبون. . ويبدعون.

عبد القادر حميدة

أنطون تشيكوف

من الماضي

قصة روسية

أنطون تشيكوف

من الماضي
قصة روسية

كان الجو في بداية أمره منعشا هادئا، تنبعث خلال سكونه الشاعرى الحالم زقزقات طير"الأج" العذبة، والمستنقعات قد حفلت بأجسام ضئيلة حية ترسل أنات متحشرجة في مثل فحيح الأفاعى .

وانطلق طائر" البكاسين" فرددت الريح صدى طلقات الرصاص التى صُوِّبت إليه . . غير أن الظلمة الحالكة حين بدأت تنشر على الكون غلالتها السوداء، هبت من ناحية الشرق ريح نفاذه ، وغاص كل شيء فى بحر من الصمت العميق .. وعَلت البركة طبقة متماسكة من الثلج .. وإذا بالغابة كلها قفر يثير الخوف والرهبة.

لقد بدأت مظاهر الشتاء تنم عن نفسها فى المكان!.

وكان إيفان فيلكوبولكنى- وهو ابن أمين مكتبة الكنيسة، والطالب بالمجمع الكنائسى-عائدا إلى بيته، بعد قضاء يوم حافل بالمغامرات والصيد .

كانت أنامله قد أصابها شيء من التخدير، ووجهه قد اتقد

بهبات الريح. وخيل إليه أن ذلك البرد الذى اجتاح فجأة، قد أفسد على الأشياء رونقها،وأن الطبيعة ذاتها قد خامرها القلق، وساورها الاضطراب . وهكذا، بدا له الأمر، وكأن العتمة قد بدأت تخيم على الأرض بأسرع مما كانت عليه من قبل.

كان كل ماحوله من مظاهر الحياة .. مهجورا، ومثيرا للاكتئاب!

ولم يكن هناك بارق من الضوء يومض فى غير"حدائق الأرامل".

وكانت القرية-وهى على مسافة ثلاثة أميال- وكل ماتقع العين عليه، سابحا فى ضباب المساء الموحش الحزين.

وتذكر الطالب أنه حين غادر بيته، كانت أمه تفترش الأرض عريانة القدمين . . تنظف وعاء الشاي، بينما كان أبوه جالسا على مقربة من الموقد، يعانى نوبات السعال.

ولما كان اليوم هو الجمعة الحزينة، ولم يطبخوا شيئا، فقد استشعر لذعات الجوع تقرص أمعاءه.

ودار بخاطره ، أن مثل هذه الموجات من البرد، كانت قد اجتاحت أيام"رادك" و"بطرس" و"إيفان الجبار" ، وأن الفقر المدقع، والجوع المهلك .. كانا قد تفشيا فى زمنهم، وكذلك ايضا نفس تلك السقوف التى صنعت من القش، والتى اتخذت منها الخروق والثقوب العديدة موطنا لها، بمثل ماكان الجهل والبؤس وتلك الحيرة والظلمة والضجر حقلا خصيبا تنمو فيه نفس هذه الأحزان يوما بعد يوم.

لقد حدث ذلك فى عهدهم ، بلا مراء ولا جدال.

ثم هاهى ذى ألف عام تدور على أسطوانة الزمن، بينما الحياة هى .. هى . لا يعتريها تقدم . . ولا تحسن!!.

وكان أمرا بغيضا إلى نفس الشاب، أن يعود الآن إلى بيته!.

* * *

أما "حدائق الأرامل" فيرجع السبب لإطلاقهم هذا الاسم عليها ، إلى أن أرملتين-أما وابنتها- كانتا قد آلتا على نفسيهما أن تتعهداها بالرعاية، وأن تسهرا على شئونها.

كانت هناك نار مضيئة مشتعلة، وأصوات طقطقة صاخبة، يحملها الأثير إلى مسافات شاسعة فوق الأرض المحروثة، بينما كانت الأرمل"فازيليا"-وهى بدينة الجسم فارعة القامة، ترتدى سترة رجل - واقفة إلى جانب النيران تحدق بعينين شاردتين تنمان عن التفكير العميق، والاستغراق فى عالم غامض مبهم .

وكانت ابنتها"ليكريا" جالسة على الأرض تنظف الملاعق والصحاف ، وهى امرأة ذات نظرة متبلدة فاترة، انتشرت على وجهها أثار الجدرى.

كان واضحا أن الأرملة وابنتها، قد فرغتا من تناول عشائهما، منذ برهة.

ومن بعيد تصل إلى الآذان أصوات العمال،وهم يسقون جيادهم من النهر.

اتجه الطالب صوب النار وقال:

-لقد عاد الشتاء مرة أخرى . . مساء الخير.

ارتاعت فازيليا ..

غير أنها تبينته لتوها، فارتسمت على شفتيها ظلال ابتسامة رقيقة، وقالت:

-إننى لم أعرفك!

فلتحرسك عناية الله .. سوف تصيب ثراءً واسعا.

ثم أخذوا يتجاذبون أطراف الحديث.

كانت "فازيليا" ذات خبرة كبيرة، إذ اختلطت بالطبقات العالية ، حيث عملت فى بيوتهم وصيفة، ثم مربية للأطفال . . فراحت تطرق أبواب الحديث بلباقة ورقة، دون أن تفارق شفتيها ابتسامة ناعمة مشرقة.

أما ابنتها"ليكريا" -وهى امرأة ريفية أشقاها زوجها بسياط معاملته القاسية-فقد سمرت عينيها على وجه الطالب، دون أن تشارك فى الحديث، وكانت تلوح على وجهها سمة كالتى نراها عادة على وجوه الصم ، والبكم.

حرك الطالب يديه حول النار ينشد الدفء وهو يقول:

-لقد كان القديس بطرس يدفئ نفسه على مقربة من مثل هذه النار، فلا ريب إذن أن الجو كانت تسوده البرودة آنذاك . . آه . .لابد أنها كانت ليلة مروعة يا جدتي! ليلة طويلة مشئومة!.

ثم أدار بصره، إلى تلك الظلمة الدامسة المحيطة به، وهز رأسه فى تأثر بالغ، وهو يقول مخاطبا"فازيليا":

-لاشك أنك كنت تطالعين فى الإنجيل الإثنى عشر؟

أجابت فازيليا":

-نعم .. إننى دوما أتردد على قراءته.

قال:

-هل يعلق بذاكرتك أن"بطرس" قال فى العشاء الأخير"إننى متأهب

تماما لأن أخوض برفقتك معمعة الظلمة والموت". . بينما أجاب مولانا السيد" إنني أقول لك يابطرس إنك ستنكرني ثلاثا قبل أن تصيح الديكة"، وخرج يسوع عقب العشاء إلى الحديقة، يوقد له نيران الموت!.

وكان بطرس المسكين خامد النفس، واهن القلب ..

وكانت عيناه مثقلتين بالنعاس، فهزمهما النوم.

ولقد أدركني أن"يهوذا" تقابل و"يسوع" في تلك الليلة نفسها وأفشى أمره إلى مضطهديه .. وأنهم أدوا به إلى الكاهن الأكبر مغلولا . فضرب كثيرا!!.

واستيقظ بطرس من نومه متثاقلا ، وهو يتوقع أن الشيء الخطير المفزع سوف يحل بالأرض.

لقد كان يحمل ليسوع الحب والتقدير الشديدين . .

وهاهو ذا يسوع يضرب الآن على البعد!.

ألقت ليكريا بالملاعق من يدها، وأدارت بصرها إلى الطالب الذى مازال يستطرد في القول:

-فلما مضوا إلى حيث يقيم الكاهن الأكبر . . راحوا يمطرون يسوع بوابل من الأسئلة، بينما أشعل الرجال النار في الفناء يصطلون.

واندس بطرس بينهم يدفئ نفسه تشأني الآن هنا . . فرأته إحدى النساء . .فصاحت:

-لقد كان هذا مع يسوع . . أيسوع أيضا؟

ومعنى ذلك أنه ينبغي أن يستجوب كذلك. .

ولابد أن جميع العمال قد نظروا إليه في ارتياب وحذر .. إذ استولى عليه الارتباك .. فقال:

-كلا .. إننى لست أعرفه.

وماهى إلا دقائق مضت .. حتى عرف شخص آخر أن هذا الرجل من تلاميذ يسوع ، فقال:

- إنك أيضا أحدهم

لكن بطرس آثر الإنكار للمرة الثانية.

غير أن شخصا آخر تحول إليه ، وقال:

- كيف هذا؟ ألم أشاهدكما معا فى الحديقة اليوم؟

فأصر بطرس على ألا يعترف للمرة الثالثة.

وفى تلك اللحظة، انبعثت صيحة الديك، فنظر بطرس إلى يسوع على البعد ، واجتر فى ذاكرته تلك الكلمات التى تفوه بها فى المساء، حين قال له:

- إنك ستنكرنى ثلاثا قبل أن تصيح الديكة.

وعندما استعادت ذاكرته هذه العبارة .. اعترته رجفة من الألم الممض، مغادرا الحديقة، وقد أرخى العنان لمقلتيه، تذرفان الدمع الحار.

والإنجيل يقول: "لقد انصرف والدمع السخين يهطل من عينيه مدراراً ".

إننى لألمس ذلك الآن واضحا جليا . .

فهاهى ذى الحديقة يغمرها الظلام، ويخيم على أرجائها السكون.

وفى ذلك الهدوء الشامل .. اختنق صوته بالعبارات حتى توقف الكلام فى حلقه.

وتنهد الطالب عميقا .. ثم استغرق فى التفكير.

كانت فازيليا مازالت ابتسامتها المشرقة على شفتيها . . غير أنها غصت بلعابها بغتة . . وانحدرت الدموع على وجنتيها المتوردتين، وكأنما أخجلها أن تبكي، فوارت وجهها بطرف ثوبها.

أما ليكريا فكانت عيناها تحملقان فى الطالب فى نهم وشراهة، حين تصاعد الدم إلى وجهها، وبدت على سحنتها علامات التبرم، كأنما تعانى ضيقا شديد الإيلام.

وكان العمال قد انقلبوا عائدين من النهر، بعد أن أطفأوا ظمأ جيادهم، ومر واحد منهم بحذاء الدار ممتطيا جواده، بينما الأضواء تبرق متماوجة على جسده.

عندئذ حيا الطالب الأرملتين، وودعهما . .

ثم غاص فى الظلام مرة أخري، وقد سرى التخدير فى أنامله.

* * *

كانت الريح تعصف وتهب، حتى لكأن الشتاء قد عاد حقيقة .. ولم يكن هناك من الدلائل مايوحى بأن شمس العيد سوف تشرق فى الصباح الباكر.

فى تلك اللحظة، كانت خواطر الطالب منصرفة إلى فازيليا.

"لاريب أن نشيجها هذا له صلة بما وقع لبطرس فى الليلة التى طويت قبل صلب المسيح"

وانسابت إشعاعات من بصره على ماحوله، إذ كان الضوء لا يزال

يشيع فى بهمة الليل ..

غير أنه كان وحيدا . . ولم يكن بجانبه آدمى ما.

وأجـهد الطالب فكره ثانيـة، فى أنه مـا دامت فـازيـليـا قـد بكت . . ومـادامت ابنتهـا قد أضطربت . .فلا ريب أن ذلك الذى حـدث منذ تسعة عشر قرنا، والذى أفضى بالحديث عنه الآن .. لاريب فى أن هناك خيوطا قوية، تربط ذلك الشئ بالحـاضر .. بهـاتين المرأتين .. بالقرية الرابضة فى الخلاء . .بنفسه .. بالعالم كله!.

لقد أجـهشت تلك المرأة العـجوز بالبكاء . . لا لأنه عرف كيف يروى لهـا القـصـة، بـاسلوب لـه وقع السـحـر فى النفس . . وإنمـا لأن بطرس"مـتـصل بهـا .. قـريب منهـا .. ولأن مـاسـاور دخـيلتـه، قـد هز كيانها، واستحوذ على مشاعرها

وطغت عليه موجة من الفرح بغتة .. فوقف .. ليتنفس ..

وفكر هنيهة . . قائلا:

-ألا إن الماضى لمتمـاسك بالحـاضر .. بحلقات من الحـوادث تربط بعضها البعض .

وخـيل إليـه أنه أدرك كنه هذه الحلقـات .. فـهـو حين يقـبض على حلقة .. تتحرك الأخري.

ثم خـاض النهـر فى أحد القوارب . . وصـعـد إلى التل . . ووقف يرنو عبر قريته، ثم إلى الغرب، حيث يلوح فى الأفق البـعيد خيط واه من النور خلفتـه الشمس الحمراء، واثقا من أن الجمـال المبدع، والحق

الخالد، اللذين قادا ركب البشرية المواج. . هنالك فى الحديقة .. وفى فناء الكاهن الأكبر . .مازالا على جبروتهما حتى الساعة .. بل إنهما أحوج ما تكون إليه الإنسانية .. وذلك العالم الأرضي!.

وشيئا فشيئا . .

بدأ يستشعر الحيوية، والقوة .. وذلك الترقب الجياش للسعادة . . وهو ترقب لايمكن الإحاطة بكنهه . . ترقب لسعادة مجهولة غريبة.

وانقشعت السحب من أمام عينيه . .

فبدت الحياة رائعة . . زاخرة بشتى المعانى النبيلة.

ف.باركوس

الطفل

قصة أمريكية

ف.باركوس

الطفـــل

قصة أمريكية

طرقت السكرتيرة الحسناء باب المكتب، وقالت تخاطب المستر مارتان مدير الشركة:

-بالباب سيدة تود-فى إلحاح- مقابلتك.

فرفع وجهه من فوق الأوراق المتراكمة أمامه ، متسائلا بصوت أجش ، تبدو فيه الصرامة والغلظة:

-تود فى إلحاح مقابلتي؟

-نعم .. وقد أبديت لها العذر فى أن لديك أعمالا هامة تشغل كل وقتك . . وأنه لكى تقابلك ، يجب أن يكون هناك موعد سابق محدد . .

غير أنها لم تزدد إلا إصرارا وإلحافا ..

لقد أخبرتنى أنها قادمة من بعيد ، وليس فى استطاعتها أن تعاود المجئ مرة أخرى.

ضرب مارتان بيده على المكتب فى غضب ، وقال:

-كان فى مقدروك أن ترغميها على الانصراف بشيء من اللباقة ..
فأجابت السكرتيرة فى عناد:

-لقد حاولت ، فلم أوفق، فهى شديدة الرغبة فى أن تقابلك . . وأنه يبدو لى من خلال صوتها أنها تستحق الشفقة والعطف.

فقال مارتان هازئا:

-امرأة تدافع عن امرأة . .

لو أن سكرتيرى كان رجلا ، لعرف الآن كيف يحملها على الانصراف .وعلى أية حال ، هل اخبرتك عن اسمها؟

-لقد رفضت أن تذكره لى .

-إئتينى بها .. وليكن ما يكون.

وبعد برهة ..

كانت تقف على عتبة الباب امرأة فى العقد الثالث من عمرها .. وقد رانت على معالم وجهها مسحة من الصمت الجامد ، بينما مشيتها تنطق بالكبرياء والاعتزاز بالنفس.

وبعد أن أغلقت السكرتيرة الباب ، رفع مارتان وجهه عن الأوراق مرة أخرى . . وراح يتامل وجه الزائرة خلال منظاره المكبر ، برهة ، ثم بدأ عليه أنه يعرفها . . فقد رفع حاجبيه فى شيء من الدهشة وقال:

-روث؟!

غير أن الدهشة التى صاحبته، كانت تدل على أنه غير مرتاح إلى لقائها ..

وانفرجت شفتا روث عن ابتسامة رقيقة وقالت:

-أجل . . أنا .. روث

-لقد انقضى زمن طويل منذ أن التقينا لآخر مرة . . سنوات كثيرة .. سبع سنوات على ما أذكر.

أجابت فى صوت هادئ، وكأنها تحاول ألا تستعيد تلك الذكريات:

-نعم . . سبع سنوات كاملة.

-لقد أسعدنى لقاؤك كثيراً . . ولكن .. كيف حالك اليوم أنت ، و.. روى؟

صمتت لحظة، ثم قالت:

-لقد كان الحال على مايرام. ولقد منحنا الله طفلا جميلا . .غير أن روى يعانى مرضا شديدا . .وقد أشار عليه الطبيب أن يسافر إلى الخارج ، لمدة عام لايزاول فيه عملا من الأعمال، كى يتسنى له أن يستعيد صحته .. وإلا . .

وكفت روث عن الحديث، فسألها مارتان فى تحفز:

-وإلا ماذا؟

-وإلا كان مآله القبر!

فقال مارتان متسائلا:

-وطبعا أطاع روى استشارة الطبيب ، وقرر السفر؟

-كلا!

-لماذا!

-إن السفر يتطلب نفقات . . وليس لدينا مال .. ولذلك زرتك اليوم

أطلب منك أن ترد إلى روى الألفيْ دولار اللتين سرقتهما منه، منذ سبع سنوات.

كان صوتها جافا، فقال مارتان ثائرا:

-يالك من حمقاء كيف واتتك الجرأة لتوجيه هذه الإهانة إليّ؟

ولم تتحرك روث من مقعدها .

قالت في هدوء:

-إهانة؟ هل تنكر أنك سرقت زوجى؟

كظم مارتان غيظه وقال:

-ان سلوكك هذا يدهشنى . .

لاشك أنك تعرفين أن زوجك قد استثمر الألفى دولار فى الشركة ، فإذا أفلست الشركة .وأخفقت الأعمال، أتيت هنا ترمينني بالتهم ، وتزعمين أننى سرقت أموال زوجك؟!.

-ولكنك ياصاحبى لاتجهل أن الشركة كانت على حافة الإفلاس . بل كانت مفلسة فعلاً ، فى الوقت الذى ساهم زوجى فيها . والأدهى من ذلك أنك دعوته إلى المساهمة ، وأنت مديرها، وعالم بحالها .

والذى أسف له أنك لم تكتف بذلك .. بل ضاعفت من راتبك ونفقاتك . . فلما أفلست الشركة . . غادرت البلدة . . واختفيت.

خبرّني . . فى أى شريعة يحق لمدير شركة مفلسة ان يضاعف راتبه ونفقاته؟

ألست أنت الذى حرضتنى على أن أدفع بزوجى لكى يكون شريكا

وإياك فى الشركة المزعومة؟

قال مارتان فى دهاء:

-إذن كان لك عليه نفوذ كبير؟

-بلا شك ، إننى لا أجهل ماترمى إليه من وراء هذا السؤال. لقد كنت تعتقد يا مارتان أننى أعشقك ، ولكن الحقيقة أنها كانت أيام نزق وطيش .ولو لم أكن طائشة، لما اشتركت فى تدبير المؤامرة التى سلبت بها زوجى ألفى دولار!!.

والآن .. هل ستعيد إليّ ذلك المال؟

-كلا بالطبع .. فإن الخسارة قد لحقتنى تماما كما لحقت زوجك ، بإفلاس الشركة.

-هذا كذب!

نهض مارتان واقفا وقال فى ثورة غاضبة:

-اغربى عن وجهى أيتها الماكرة .

إن هذه الإهانات لا أحتملها منك . . غادرى مكتبى حالا.

-حسناً . .سأغادر مكتبك الآن.

ولكن أرجو أن تفسح لى صدرك لأصارحك بشيء قبل أن أغرب عن وجهك يامستر مارتان.

ان الشيء الوحيد الذى يؤرق روى هو أن صحته تحول بينه وبين إعانتنا على مواصلة الحياة . .أى أنه لم يعد قادرا على أن يعولنا .. أنا وابنى . .لقد أصبح دائم القلق علينا .. وكل الذى أخشاه . . هو أن

يدفعه اليأس إلى التخلص من تلك الحياة . . ولكن الذى عزمت عليه . . هو أننى حين أعود إلى البيت ..سأحدثه بشيء يصرفه عن الاهتمام بأمرينا.

قال مارتان يسألها بفضول:

-أفصحى ، فإن فى كلامك غموضا!

-هذا الشيء الذى سأفضى به إلى زوجى ، هو أن الطفل الذى يظنه ابنه ، ليس فى الواقع إلا ابنك أنت .

حين سمع مارتان هذه الكلمات امتقع وجهه ، وامتدت عليه ظلال من الاضطراب ،والتوجس.

وأستطردت روث تقول:

-ماذا حدث ياعزيزى مارتان؟

إننى أراك شديد الاضطراب، والذعر!

منذ سبع سنوات ، عقب ساعات الطيش التى عشناها معا .. وعقب سلبك زوجى الألفى دولار .. غادرت المدينة ولم تعد إليها مرة واحدة! .

والآن ، بعد شهور قليلة سوف يبلغ الطفل سبع سنوات .. فهل أدركت أنه ولدك؟

أجابها مارتان فى حدة:

-لا أصدق حرفا مما تقولين!

هزت روث كتفيها بلا اكتراث وقالت:

-تصدق أو لا تصدق ، فإن هذا لا يضيرني. ولكن ثق تماما أن زوجي سيصدق هذا القول، وسوف لايستنكر منه شيئا، فليس من المعقول أن تعترف زوجة لزوجها زورا بأنها عبثت بشرفه، وأن من يظنه ابنه ليس إلا ابن عشيقي. ثم أن الطفل شديد الشبه بك ، وسوف أدل روى على مواضع الشبه بينكما . . وعندئذ سيعرف قطعا صدق اعترافي .

قال مارتان محاولا أن يصرفها عن هذا الرأي:

-ولكنك بهذا سوف تثيرين الشبهات حول نفسك! وستقضين على سمعتك!

-نفسي وسمعتي؟ ليكن!

لقد لوثت شرف روى . . وبددت أمواله، وضللته لكي يلقي بها إلى السارق . . والآن . . أرى صحته تتدهور . . وأصبح مفلسا . .فهل تظن أن قيمة الدنيا ستأخذ حيزا من تفكيري بعد هذا؟.

إنه ليحزنني أن أراه دائم القلق والحزن . . لا يفكر في شيء سوى مصيري ومصير الطفل الذي هو طفلك . .لاشك أنه حين يقف على حقيقة الأمر .. سوف لايهتم بأمرينا . . نعم سيكرهني .. سيمقت الزوجة التي عبثت بشرفه . . وكذلك الطفل .. حين يدرك أنه ثمرة سفاح!.

قال مارتان صائحا:

-يخيل لي أنك جننت!

-جننت ! لست على أى حال أعير قولك أى اهتمام . لقد كان روى شهما وكريما معى .

-إن زوجك مريض .. وفى أزمة مالية .. فهل تريدين أن تزيدى من همومه ،وتثقلى من آلامه بإفضائك إليه بذلك السر الخطير؟

-لقد قررت فيما بينى وبين نفسى الإدلاء إليه بهذه الحقيقة

فقال مارتان متهكما:

-يالك من زوجة مخلصة!

زوج متقاعد مريض . . تأتى زوجته الوفيّة المشفقة، فتضاعف من أحزانه وهمومه!!.

-تهكم ماشئت . .فإننى على يقين من أن روى لايعانى من أجل نفسه ، وإنما من أجلى أنا والطفل ، وإن الذى أرجوه من وراء هذا الاعتراف . . هو أن يتخلص من قلقه علينا ، وهذا هو السبيل الوحيد لإنقاذه.

-السبيل الوحيد .. كيف؟

-أجل . . لقد أمن روى على حياته لقاء مبلغ كبير ، ولقد لاحظت عليه فى الأيام الأخيرة أنه مشغول بالبحث عن مستندات التأمين . . وقرأت مايجول فى عينيه .. وإنى لا أستبعد أنه ينوى الانتحار.

قال مارتان منفعلا:

-ولكن .. ألا تدركين ياحمقاء ، أن وقوفه على السر سيدفعه إلى التخلص منى لامحالة؟

قهقهت روث قهقهة عالية وقالت:

-وماذا يهمنى من أمرك إذا هو قتلك؟

إننى لم أعد أحفل بك ، أو أحبك

عندئذ جلس مارتان إلى مكتبه .. والتقط دفتر الشيكات وهو يتمتم:

-لكننى لا أود أن أموت.

وكتب لها شيكا بألفى دولار .. أخذته روث . . وانصرفت .

وفى طريقها ، قالت تحدث نفسها :

-ياله من غبى أبله!

لقد خدعته وقلت له إن الطفل ابنه، وأنه يبلغ من العمر سبع سنوات ..

ولو أنه أدرك الآن أن ابنى الوحيد الذى رزقته عمره عام واحد . . لطار صوابه!.

وليم سارويان

حفنة من الفقراء

قصة أمريكية

وليم سارويان

حفنة من الفقراء

قصة أمريكية

ذات صيف . . التحقت بالعمل لمدة شهرين فى محل بقالة.

كنت اشتغل من الرابعة بعد الظهر، حتى منتصف الليل، وإن كنت بعد الثامنة مساءً لم أكن أجد ما أعمله غير أن أتطلع من نافذة المحل، أو أقوم بجولة حول البضاعة ، أنسقها ، وأضع كل شيء فى مكانه!.

والمحل الذى اختار له صاحبه موقعا فى حي"جروف" الفقير جدا، لم يكن كبيرا، وبالتالى كان الزبائن فقراء فقرا مدقعا. اثنان فقط أو ثلاثة من المترددين على المحل، لم يكونوا يسرقون شيئا، وهؤلاء لم يكن لديهم أطفال صغار.

أما الباقون ، فلم يكونوا يمنعون أيديهم عن السرقة .

كانوا دائما يسرقون أكثر مما يشترون. .

وكانوا فى حاجة إلى مايسرقونه لأنهم لايملكون ثمن الحصول

عليه.

ففى اللحظة التى أدير لهم ظهرى .. يستطيعون مثلا أن يخفوا فى جيوبهم "باكو" من اللبان . . أو بعض الكعكات الصغيرة . . أو علبة صلصة محفوظة.

وكنت ألحظ هذه السرقات ..

ومع هذا لم أكن أضبطها. فقد كانوا طيبين، بقدر ما كانوا فقراء!.

وذات مرة . . فى شهر أغسطس على وجه التحديد . . حاولت إحدى السيدات أن تخفى بطيخة خلف سترتها! . .

لكم أحزننى هذا المشهد وآلمنى كثيراً .

كانت المرأة فى نحو الخمسين من عمرها .. أو يزيد قليلا . .

وكان واضحا أنها تعانى من الارتباك والاضطراب . .

فقد أنفقت أكثر من خمس دقائق فى المحل وهى تسأل عن أسعار كثير من الحاجات الموجودة لدينا .

كانت تسأل .. وفى نفس الوقت تتذوق المشمش، والخوخ، والتين.

قلت لها :

-إن دستة التين بعشرة سنتات .

واستطردت قائلا لها:

-إن التين جيد جدا.

فقالت لى :

-يبدو كذلك ، ولكن .. هل هو جيد حقيقة؟

عندئذ طلبت منها أن تتذوق واحدة . .فترددت لحظة . . ثم تناولت تينة كبيرة من القفص، وراحت تلتهمها وهى غارقة فى التفكير،

كأنها تتذوقها على أساس الاختبار والفحص ، ثم ابتلعتها فى ثلاث قضمات!.

إنها امرأة على أية حال .. تستطيع بشيء من الإثارة أن تحصل على بغيتها من محل البقالة . . ومع هذا لم يكن فى سلوكها مايشير إلى هذه الإثارة . بل لقد أحسست أنها مندهشة من الطريقة التى حصلت بها على البطيخة، دون أن يخدش أحد كرامتها!.

* * *

ومن القليلين الذين كانوا يترددون على المحل، دون أن يرتكبوا محاولات السرقة، رجل أسبانى قصير اسمه"كاسال" ، ضئيل الجسم، كبير الرأس، وفى وجهه ملامح حزينة، تدفعك إلى أن تغمره بعواطفك، وتعجب به على الفور.

كان معتادا أن يأتى إلى المحل فى العاشرة من مساء كل يوم .. يبقى به نصف الساعة ، ينفقها كلها فى الحديث.

ولعل من ميزاته أيضا أن شخصيته كانت تتسم بالإباء والشمم، لهذا كنت أمنحه كل احترامي.

وكان يبدو على "كاسال" أنه لايعرف شيئا بالمرة. لقد خيل لى أنه لم يقرأ جريدة خلال عشر سنوات كاملة. لم يكن لديه أدنى فكرة عن الحياة التى تسود الحى الفقير. وحديثه لاينضح بأية شكوى من التى تنضح بها شفاه الفقراء عادة فى حي"جروف" . كل ميزات الرجل أنه ضئيل الحجم . .وأنه يحمل على كاهله ثمانية وأربعين عاما، أو أكثر ، أو أقل.

ولعل من سماته المميزة أيضا هذه النظرة الهادئة التى تفصح عن

رغبته فى الهدوء بقية أيام عمره!.

المهم، أننى بدأت أعرف تدريجيا لماذا يبدو الرجل أبيا ولا يهوى الشكاية مثلما يهواها الآخرون.

كان أبا لابن فى السادسة عشرة ، وكان ابنه فارعا ووسيما، وفيه من ملامح أبيه رأسه الكبير.وكان الأب فخورا بابنه كل الفخر.

قال لى "كاسال" فى إحدى الأمسيات فجأة، دون مقدمات:

-هل تعرف ابني؟

إنه ولد رائع، فارع، ووسيم وذكي.

أتدرى لماذا؟.

إننى عندما أعود مساء كل ليلة من العمل . .يبادرنى قائلا:

-"أبى . . اقفز فوق كتفي"

وأقفز فوق كتفيه فعلا، فيحملنى ويجرى بى داخل المنزل، حتى نصبح وجها لوجه أمام مائدة العشاء . .فينزلنى من فوق كتفيه.

وفى أمسية تالية قال لى "كاسال":

-سأخبرك لماذا يبدو ابني، هذا الابن الرائع . لقد ماتت أمه بعد ولادته. لم يعرف أمه أبدا. عاش طفولته وحيدا، وكنت أحرص على أن أذهب إلى البيت وقت الغذاء، كى أطمئن عليه . أحيانا كنت أجده يبكى ، وأحيانا أخرى أجده ساكتا، وكأنه يتوقع حضورى. كان يرانى فيتوقف عن البكاء، وعندما أصبح عمره عامين، بدأ يعرف موقع يتمه من هذا الوجود، والنهاية التى انتهت إليها أمه. وبعدها أصبح الأمر سهلا بالنسبة إليه، وبالنسبة لى أيضا. يجب أن تعرف مدى ماوصل إليه من نضج أولاً . . ألا تحس الآن بالحب نحوه؟

قلت مبهورا:

-أعتقد أنه ولد رقيق.

-حسنا، إذن سأحكى لك .

تصور أنه يريد أن يمنعنى من العمل! يريد أن يشتغل بدلا منى. إنه يقول لى دائما:

-"لقد تعبت بما فيه الكفاية يا أبي".

وهو يجيد الأعمال الميكانيكية.

إنه يستطيع أن يلتحق بوظيفة ميكانيكى فى ورشة كبيرة .

أتدرى بماذا أجبت؟.

لقد رفضت رغبته ، قلت له:

-"ياجو. . أنت فى طريقك إلى الجامعة"

إنه ولد ممتاز . . ولابد أن أدخله الجامعة. . ولد ذكى . . ووسيم. . ورائع. . ويجب أن أكدح من أجله.

قلت له:

-بالتأكيد

.. وهكذا كان"كاسال" واحدا من الزبائن المحبوبين الذين يترددون على المحل منذ أن عملت به.

* * *

وزبون آخر . .

كان فتاة فى الثانية عشرة .. شعرها ذهبى . . واسمها"ماجي" .

كان يبدو عليها الحيوية شأن بعض الأطفال الفقراء، وتبدو أكثر الفتيات سعادة فى هذا العالم!.

اعتادت "ماجي" أن تأتي إلى المحل، وعلى شفتيها ابتسامة مشرقة في صفو السماء . .كانت تضحك دون مقدمات .. وكأنما جاءت خصيصا لتضحك . . وكان ذلك يسعدني دائما ، وإن كنت لم أشعرها بذلك . . ولهذا كانت تبالغ في ضحكها.

-ماذا تريدين يا فتاتي؟

قالت وهي غارقة في الضحك:

-أنت تعرف

-هل تريدين رغيفا من الخبز؟

-خبز؟!

-إذن ماذا تريدين؟

وغمزت بطرف عينيها قائلة:

-وماذا عندك؟

ولم يكن في استطاعتي أن أفعل مع هذه الفتاة غير أن أقدم لها خوخة لتتذوقها:

قالت وهي تمضغها بشفتين ناضجتين:

-يقولون إنني نسخة طبق الأصل من جنجر روجرز

-إنهم كذابون!

-أنا معك . . ولكن . . هل تحب جنجر روجرز؟

-إنها فاتنة

-وأنا أريد أن أكون فاتنة مثلها

-وأنت في الثانية عشرة من عمرك؟!

ومن هذه الفتاة ..عشرات الفتيات في المدينة!

* * *

و . . زبون آخر.

إنه طفل صغير لايملك درهما فى جيبه ..

ومع هذا يأتى إلى المحل دوامـا من أجل التطلع فـقط ، إنه طفل فى الرابعة من عمره.

لقد اعتدت أن أناديه"كلافين".

كان ينفق ساعة كاملة، يتطلع إلى محتويات المحل دون أن ينطق بكلمة واحدة . كان يخيل لى أن الزبائن يمكن أن يدوسوا فوق قامته القصيرة جدا، لكنه كان يقف في مكان ثابت، وكأنه ملتصق به، بينما عيناه فقط هما اللتان تتحركان فى جولة التطلع الدائم.

فى إحدى الأمسيات . . ربتت السيدة التى سرقت البطيخة رأسه ، وقالت لى:

-أهو ابنك؟

قلت لها:

-نعم

-إنه ولد وديع . . ويشبهك تماما. . بكم التين اليوم؟

-الدستة بعشرة سنتات .

-هل هو جيد؟

-نعم .. بالتأكيد . . لقد أكلت واحدة منذ خمس دقائق.

يمكنك أن تذوقى واحدة

والتهمت تينة . . ثم مالت على الخوخ، فالتهمت واحدة ، فى الوقت الذى كانت تلتقط بيدها الأخرى إحدى حبات المشمش.

وفى هذه الأمسية لم تشتر شيئا.

لقد لبثت واقفة عشر دقائق ، دون أدنى محاولة للشراء.

ولقد عرفت بعد ذلك انها جاءت-فقط- لتسألنى إن كان من الممكن أن أقرضها٢٥ سنتا حتى الغد . .لكنها لم تجرؤ على السؤال.

كل ماقالته:

-إننا سعداء لأننا نعيش فى كاليفورنيا .. أليس كذلك؟

-إننى لم أغادر هذه المدينة .. هل هى تختلف عن المدن الأخري؟

قالت بانزعاج:

-اوه .. لماذا؟ إن هناك مدنا لاتستطيع أن تتنفس فيها خلال فصل الصيف .. شيكاغو مثلا ، الجو هنا رائع وجميل.

كانت السيدة تقف قريبة من الباب، حين قالت وذراعها تشير إلى السماء:

-إن الهواء هنا منعش جدا.

وانصرفت المرأة

عندئذ ناديت"كلافين" فجاءنى فى الحال ، قلت له:

-هل تحب حلوى العرقسوس؟

ولم يجب

كان واضحا انه يحب العرقسوس . .لكنه لايريد أن يتكلم.

قلت له مستطردا:

-اصعد هنا وخذ اى شيء تريده

وصعد الطفل .. فاصبح أمام أكياس الحلوى .. لكن يده لم تمتد إلى واحد منه.

-خذ اى شيء تريده يا كلافين

وتطلع إلى وجهى لحظة فى نظرات مستريبة.

-تناول ماتريده .. لا تخجل!

ولم يرد أن يصدقنى . . وإن كان احس أننى انقذه من خجله

قليلا:

-تناول ماتريد

وامتدت يده الصغيرة . . فتناول كيسا من العرقسوس.

-خذ أى شيء آخر معه.

ووضع كيس العرقسوس فوق ظهره . . حاول أن يمضى بأسرع ما يمكن . لكنه توقف حين قلت له :

-لا يا كلافين .. على مهلك حتى لا يسقط منك الكيس.

وليلتها . . أحسست بمنتهى السعادة وأنا أضع ثمن الكيس فى درج الخزينة من جيبى . أحسست أننى أدفع ثمن الشجاعة التى استمدها كلافين من حديثى معه . . والتى لابد سيلقانى بها غدا.

وفى اليوم التالي:

جاءنى كلافين، قال لى فى صوت هادئ ودون خجل:

-لقد كان العرقوس لذيذا.

قلت له:

-إذن سأتذوقه أنا الآخر

وعندئذ ناولته واحدة . . وتناولت واحدة أخرى .

ورحنا نلتهمهما معا فى سعادة

. . لقد كانا شهرين رائعين عشتهما فى هذا المحل فى حى "جروف" الفقير. عشت خلالهما وسط نماذج رائعة من الناس . . سواء منهم من كان يأتى ليسرق . .او ليشترى ويسرق . .أو لكى لايشترى ولا يسرق . . مثلما كان يفعل"كاسال" و"كلافين"

ليونارد فرانك

الطفل والسلام

قصة ألمانية

ليونارد فرانك

الطفل والسلام

قصة ألمانية

كان "روبرت" دائم التفكير فى كرامته!

عندما ينحنى أمام واحد من نزلاء الفندق . . يعلو بداخله صوت سؤال لا يغادره:

-أليست هناك أعمال أخرى يحظى أصحابها بالكرامة الإنسانية ، ولا ينحنون؟!

ثم يطأطئ رأسه، وهو مازال يفكر.

وينحنى كعادته، مسرعا إلى النزلاء . . يشكرهم على ثقتهم به، وعطفهم عليه.

كان"روبرت" طيبا . . خجولا .. يعمل رئيسا للسقاة فى هذا الفندق.

كان يصحب العشاق إلى خمائل الحب .. ثم يغمض عينيه أبوّة .. وينصرف.

وكان"روبرت" له طفل وحيد ، هو كل أمله فى الحياة، استهوته

الموسيقي، فأجاد العزف على آلة الكمان.

وأغدق عليه أبوه ثروة كبيرة من لعب الأطفال: مسدسات . . سيوف .. جنود من الصفيح . . ورداء ضابط برى . . وثياب بحار.

وعندما بدأت الشعيرات البيضاء تغزو رأس"روبرت" . .كان لا يزال ينحنى أمام النزلاء!!

وكبر الطفل، فألحقه بالمدرسة . . حتى إذا أتم مرحلته الأولى، ألحقه بالجامعة.

فلما بلغ الحادية والعشرين، استدعته إدارة الجيش، ليشترك فى الحرب القائمة .ولقد أبدى مقدرة نادرة، وشجاعة فذة، فأنعم عليه بنيشان الصليب تقديرا لبسالته.

وكان"روبرت" يحلو له كثيرا أن يتحدث عن بسالة ابنه، فلا يفتأ يثرثر مع النزلاء عنه، ويقدم لهم صورا لطفولته وهو فى ملابس العسكرية.

وفى يوم من صيف عام ١٩١٦ . . تلقي"روبرت" برقية رسمية تخطره أن ولده قد "استشهد فى ساحة الشرف" .

عندئذ أظلمت الدنيا فى عينيه . .وزلزلته مشاعر الذهول والحيرة!.

"استشهد فى ساحة الشرف!."

كانت عيناه تلتهمان هذه العبارة عشرات المرات دون أن يتفوه!

كان يقرأها كلما ساله نزيل عن غرفة خالية، وعندما يلبى طلبات

الزبائن، وحين يقف أمام مائدة البلياردو يترقب أوامر اللاعبين!.

وكان يقرأها قبل أن يدخل أية غرفة .. وبعد أن يغادرها .. وفى المطبخ . . وأمام البار .. وفى دورة المياه. . وعلى درجات السلم . . وهنا . . وهناك!!.

أستشهد فى ساحة الشرف!

الشرف!!

أية كلمة تلك التى دفعت شعبا بكامله إلى الموت؟!!

ولم تكن "ساحة الشرف" هذه شيئا يستطيع "روبرت" أن يلمسها بيديه .. أو يتصورها بأعصابه المحطمة!

لم تكن هناك ساحة .. ولا هواء . . ولا ضباب .. ولا شيء بالمرة!!

هناك شيء واحد فقط : هو العدم المطلق!!.

ولقد اكتشف "روبرت" فجأة، أن هناك خيوطا تربطه بذلك العدم منذ لحظات ، فهو يقبع وسط تيه من الخراب، يقبع فيه وحده لا يلوى على شيء!!.

ومع أن المال أصبح-منذ الآن- شيئا غير ذى قيمة، فهو لم ينقطع عن العمل.

كان يمد النزلاء بالغرف الفاخرة، متقاضيا عنها نصف الأجر فقط ، فعاقبته إدارة الفندق.

وكان يلتمس شكايات بعض النزلاء من ارتفاع الأسعار، فيقدم لهم المأكولات والمشروبات بثمنها الحقيقي.

وهكذا اضطرت إدارة الفندق إلى فصله من العمل!.

أصبح"روبرت" يواجه كل يوم غرفة ابنه بكل ماتحوى من مخلفات الطفل، فتتزاحم الذكريات فى رأسه المرهق، وهو لائذ بالصمت.

وذات يوم، وقعت يده دون قصد على إطار يضم صورة ولده وهو فى ملابس المشاة ، يؤدى التحية العسكرية .. فارتج عليه، وندت عن صدره آهة ملتاعة مذبوحة بسكين الحب والألم!.

كانت زوجته تهدئ من روعه ببعض عبارات التعزية التى سمعتها من جاراتها، مثل"تلك هى إرادة الله"، لكن عينيه الذاهلتين الواجمتين، أيأستاها من المحاولة مرة أخري.

كان"روبرت" يتوجس قلقا من أن شيئا ما سوف يحدث، لكنه لن يفقد شيئا ، لأنه فى الحقيقة فقد كل شيء!.

وعاد إلى الفندق مرة أخرى . .

نقل كل لعب ولده من البيت إلى الفندق . . أخفاها وراء البيانو، وكان يتعذب بسياط الخطيئة تجلد ضميره كلما وقع بصره عليها!.

لم تضطرب يده ذات مرة، وهو يقدم كوبا من الماء إلى أحد الضباط ، لكنه أحس بانقباض شديد يعتصر قلبه، حين أطل من نافذة الفندق، فابصر مواكب الشباب تملأ الشوارع وهم ينشدون:"لاتضع يدك فى يدي، لأن بها سلاحى".

لقد لقن ابنه أيضا مثل هذا النشيد .. وكان يرهف السمع إليه مزهوا، وهو يسكبه لحنا رائعا فى الآذان.

ومــضت الأيام و"روبرت" يمعن الفكر فى لاشيء وفى كل شيء. وكان ينخرط فى البكاء عندما يشهد فتاة فقدت حبيبها ، أو زوجة ترملت . . لكنه كان يحاول جاهدا أن يحتفظ بمقدرته على الابتسام .. وتناول النبيذ دائما!.

ازدحمت القاعة الكبرى بالنساء.

وناول"روبرت" كوبا من الماء لرجل يقف أمام المنصة، كان يتحدث باسم نقابة العمال.وكان يعلن لهذا الحشد الكبير من الزوجات ، أن النقابة لن تستطيع أن تدفع لزوجات المتقاعدين شيئا، فقد نفدت مواردها، والخزينة خاوية.

واستند"روبرت" على البيانو الذى يخفى وراءه بنادق طفله وسيوفه . راح ينصت للخطيب، ويتفرس وجوه الحاضرات . التجاعيد واضحة على وجوههن، وكأن غياب أزواجهن فى ميادين القتال، والغلاء الباهظ، قد كساهن شحوبا ينم عن التعاسة والشقاء . إن القبضة الحديدية العاتية التى أزهقت أنفاس أوروبا خلال عامين، تبدو آثارها الآن واضحة على هؤلاء السبعمائة من الزوجات الرازحات تحت أقدام الهوان، والفقر، والثكل، والترمل.

واكتشف أحد الأطفال بندقية من لعب ابن" روبرت" فشهرها مرحا فى وجوه هؤلاء السبعمائة . . فنظرن إلى الطفل فاغرات الأفواه، يتأملن فى ذهول، البندقية المصنوعة من الصفيح!.

وفى الخارج ..

كـان هناك ثلاثة مــلايين من الـرجــال يتظاهرون، وبيــد كل منــهم سلاحه!.

عندئذ..تقدم"روبرت"فى خطوات هادئة متزنة.

تناول البندقية من يد الطفل، واتجه إلى المنصة

كان الخطيب يجرع كوبا من الماء، حين ألقي"روبرت" نظرة طويلة على الجميع . .ثم خطب فيهم:

-انظروا إلى هذه البندقية، لقد اشتريتها لولدي، ولقنته أصول الرماية، وإصابة الهدف.

وظل يلعب بها حتى قتل فى نفسه عاطفة الحب.

لقد علمته كيف يقتل

لكنه!

مات فى جبهة القتال.

وإننى أشعر بكثير من الارتياح حين أقول إننى أنا الذى قتلته.

وكلكم فعل مثلى.

لقد فقدتم أولادكم ، كما فقدت ولدى.

ثم حطم"روبرت" البندقـيـة على ركـبـتـيـه، وألقى بأشـلائهـا على الأرض وأكمل:

كان على أن أفعل ذلك منذ خمسة عشر عاما، هل تعرفون؟

أنتم إذن خونة. . مجرمون .

إن رجــالنـا وهم أبنـاء وأزواج . .يقــتلون رجــالا هم أيضـا أبـناء

وأزواج. وبدورهم يقتلون أبناءنا وأزواجنا. ثم تقول واحدة منكن، أو كلكن:

-ليعد ولدى أو زوجى سالما . .وليمت من يموت!

وهذه أمنيات يطلبها الأنانيون وحدهم.

دعونى أسألكم:

أليس مجرما من يربى طفلا طاهرا بريئا، ليجعل منه فيما بعد قاتلا فظا، أو مقتولا بلا ذنب؟!.

نحن نلقى تبعة كل هذا على الأنانية والجشع.

إن أوروبا تنتحب كلها لأن الناس فيها فقدوا عاطفة الأخوة فيما بينهم . لم يعودوا أحباء . لقد فقدت أوروبا صوابها لأنها فشلت فى أن تغرس بذور الحب فى قلوب أبنائها.

أليست باريس مجنونة عندما يأخذها الزهو، لأن ألفين من الجنود قتلوا أمام خطوطها؟

إننا نذوب من الحزن حين يندثر أبناؤنا . وما دمنا لانشعر بفداحة مقتل رجل منا، فنحن نجهل شيئا اسمه الحب.

أليس لهذا الإنسان الذى قتل، أب ، وأم ، وأصدقاء، وإخوة، يتألمون لمصرعه، سواء أكان فرنسيا أو ألمانيا؟

يكفيه أنه كائن بشري.

كان الأحرى بنا أن ندعه يتمتع بالحياة .

لكننا قتلناه . . نعم قتلناه . . لأننا مجرمون!!.

كـان"روبرت" يشـيـر بيديـه، وكـانـت كلمـاتـه واضـحـة . لكن الناس أحيانا يعميهم بريق الحقائق، فيضلون الطريق إلى معرفتها، لقد نسوا الحب كما ينسى رجل مهمل مظلته!.

وعاد"روبرت" يقول بصوت مرتفع:

لاشيء سوى الحب ، يحول دون إطلاق رصاصة واحدة . . فيعم السلام، ونمتلئ بالطمأنينة والمحبة، نحيا متآخين، ونتعاون فوق هذه الأرض التى وهبها الله لنا.

هل تصور أحدكم يوما كيف يقتل أبناؤنا.

يسـتـقـر الرصـاص فى صـدورهم . . يقـاومـونه فـيـصـرعـهـم . ويصبحون جثثا هامدة.

أنت أيتها الفتاة :

هل تخيلت يوما آخر نظرة ألقاها حبيبك على هذا العالم؟ حبيبك الشاب، وهو يترنح مثخنا بجراحه، وقد مزقت الأسلاك الشائكة جسده تحت لهيب الشمس؟

وانت أيتها الزوجة :

تستطيعين أن تتخيلى ذلك المشهد البشع .. مشهد زوجك وهو يتعلق بآخر أمل فى الحياة، بينما هو يلفظ أنفاسه الأخيرة!.

وانت أيتها الأم..

صرخت سيدة عجوز:

بالله لاتدمى جراحنا ..اسكت .. اسكت

وانخرطت فى البكاء .

لكن"روبرت" راح يتكلم :

إن بلادنا اليوم ممتلئة حتى الحافة بمشوهى الحرب ، وبالأطفال اليتامي، والأرامل . . لو أننا استعدنا من ميدان القتال تلك الأذرع والأرجل التى انفصلت عن أجسادها . . لو اننا أعدنا ملايين الجثث البشرية وفيها جثث قتلانا . . ثم ألقيت فى عرض الشوارع أمام الأعين . . هل يجرؤ أحد أن يقول :هذه هى الدنيا . . أو تلك هى إرادة الله؟

أم أننا سوف نهتف جميعا بكل ماوعيناه من فداحة المأساة:

لانريد الحرب .. نريد الحب ولن نحيا بغيره؟!

وانطلقت من"روبرت" آهة ملتاعة بالحزن والأسى.

وانفجرت القاعة بصرخات النساء والفتيات، وأغمى على إحداهن خارج القاعة.

وجثت شابة صغيرة على ركبتيها تبتهل إلى الله بالدموع . .

وأسند شيخ عجوز رأسه بيديه المعروقتين . . وراح يبكى!.

-"قليلون أولئك الذين يحسون خطاياهم، لكن من هم الذين يستطيعون أن يلمسوا جوهر الحب ، آه لو أنكم هتفتم معى:

سنناضل بكل طاقتنا حتى لا نعطى الحكم لشيء آخر غير الحب ، الحب الإنسانى . . سنناضل نحن الذين فقدنا كل شيء"!.

وارتفعت الهتافات:

-نعم لقد خسرنا كل شيء . . كل شيء!!

وتحـرك الجـمـيع يجـتـازون شـوارع المدينة .. و"روبرت" فى مقدمتهم، يرتدى ثياب العمل . .ويهتف:

نريد السلام

وتعلو الهتافات من حوله:

نريد السلام

والفتيات اللاتى فقدن عشاقهن، غادرن المحلات اللاتى تعملن فيها .. إلى حشود المتظاهرين . .

راح اثنان من رجال التنظيم ينظمان المظاهرة .

ارتجف سائق الترام لدوى كلمة"السلام" فأوقف مركبته وانضم إلى الموكب.

وفى لحظات . .

كان عدد المتظاهرين يتزايد حتى حجب أشعة الشمس، وامتلأ بهم جميعا ميدان كبير.

حمل أحدهم "روبرت" على كتفيه وراح يخطب فيهم:

"إن شـجـرة خـبـيـثـة لاتؤتى أكلهـا، يجب أن تجـتث من فـوق الأرض،"وتلقى فى النار".

صفق الجميع . .

وراحت حسناء تتنهد . .

وانتحت أخرى جانبا وهى تبكى وتغمغم:

السلام .. السلام.

وتدفقت أفواج المسافرين الذين كانوا يملأون فناء المحطة، كأنما نسوا وجهتهم، ومضوا جميعا يهتفون للسلام.

كان المشهد مهيبا حقا، وهم يسيرون بخطا متئدة، تدق الأرض وكأنها تشيع جناز الذل، والكراهية، والعبودية.

ومن بين هذا الموج البشرى الهادر .. اندفع شاب مكتنز الوجه.

وفى لمح البصر . . استل غدارته . .وصوبها إلى رأس"روبرت" فخر مهشم الرأس ، والدماء تنزف منه

و . . لم يتوقف الموكب

اندفع يهتف فى إصرار أقوى من ذى قبل:

-نريد السلام . .نريد السلام!

ستيوارت إمرى

الفقر والحب

قصة إنجليزية

ستيوارت إمرى

الفقر والحب

قصة إنجليزية

كان الطريق مزدحما بأفواج العمال والعاملات ، خارجين وخارجات من أبواب المصانع .

وكانت الطبيبة " سارة كولز " على وشك أن تغادر عيادتها حين دخلت عليها " أديث روهان " .. وهى فتاة عاملة .. جسدها هزيل ، ووجهها شاحب ، لكنها فى خفة العصفور .

قالت للطبيبة ، بعد أن حيتها :

- أرجو أن تقبلى أسفى ، لمجيئى فى هذا الوقت المتأخر .

جلست الطبيبة على مقعد قريب .. وأجلست " أديث " على مقعد مقابل ، ثم سألتها :

- ألا زلت تحسين بالام فى حلقك ؟ افتحى فمك كثيرا . كفى

وتساءلت الفتاة :

- أليس هناك أمل فى الشفاء ؟

وأوشكت الطبيبة أن تجيب . لكنها أمسكت عن الكلام .

وراحت تنظر إليها طويلا ، ثم قالت :

- هل أنت منهكة من كثرة العمل ؟

- لا .. إننى متعبة فقط .

أنتهى الفحص .. فجلست الطبيبة إلى مكتبها .. وقالت :

- هل ترغبين فى الحصول على إجازة هذا الصيف ؟

- كلا يا سيدتى .. فإن راتبى ٢٥ شلنا فى الأسبوع فقط .

- وأين تعملين ؟

- فى حانوت لبيع الكتب القديمة ، يديره رجل اسمه " أدامستر "

- أظنه ذلك الحانوت الكائن فى الطابق الأرضى من أحد المنازل المتداعية فى حى " هوهو "

كم قضيت فى خدمة هذا الرجل ؟

- عامين .

- وما الذى جاء بك إلى لندن؟

- جئت مع أبى ..

كان عمرى ١٢ سنة ، وكان - رحمه الله - عامل تلغراف .

سكتت " أديث " لحظة ، ثم استطردت :

- وكثيرا ما كان أبى يعمل فى أوقات فراغه ، ليطعمنا . كان دائم الإرهاق ،لدرجة أن بواب المنزل ، كان يجره من مضجعه عنوة ، ليوقظه .. فلما مات أبى ، تركنى فى لندن ، ولم يكن لى مكان آخر أتجه إليه .

- ألا يمكنك أن تمضى ثلاثة أو أربعة شهور خارج مدينة لندن ،

تشمين خلالها هواء نقيا ، وتتناولين طعاما جيدا ، وترتاحين ؟

- إننى فقيرة ، لا أملك تكاليف هذه الرحلة

- أتقبلين مساعدتى لك ؟

- كلا يا سيدتى .. أشكرك .

- هناك أناس أعرفهم لا يترددون فى أن يمدوك بكل ما تحتاجين إليه .

صاحت الفتاة فى إصرار :

- كلا يا سيدتى .. سأتدبر هذا الأمر بنفسى ، الفتيات اللاتى فى مثل حالتى يتزوجن . . سأتزوج .

وعندئذ وجهت إليها الطبيبة نظرة ثاقبة ، ثم قالت :

- هل وقع اختيار أحد الشبان عليك ؟

- نعم

- وهل تحبينه ؟

- لا ياسيدتى ، فأننى لم أقف على طباعه وأخلاقه.

قالت الطبيبة:

- هناك شيء واحد فقط فى هذا العالم ، يجعل حياة الزوجين كلها هناء وسعادة ، ذلك الشيء هو : الحب .

- لكنى سمعت بعض المتزوجات يقلن غير ذلك .

- لاتصدقى مثل هذا القول يا ابنتى .. وإنى أستحلفك يا " أديث" أن تتريثى.

- وما الذى أفعله وأنا مضطرة إلى الزواج كما ترين ؟

- لا تقامرى بنفسك ، لابد أن تحبى فتاك قبل أن تتزوجيه

- سأحبه ، لابد ، بعد الزواج .

- الزواج الذى لا يقام على الحب .. أشبه بالبيت ، يبنى على الرمال .. أقل الأعاصير تهدمه ، هذا أسوأ شىء فى الحياة .

- آه ياسيدتى لو أنك تعملين فى حانوت " أدامستر "! إذن لأدركت أن ذلك أسوأ شىء فى الحياة !!

ثم حيت الفتاة الطبيبة

وانصرفت .

* * *

توقفت سيارة أمام عيادة الطبيبة ، وهبط منها رجل عاون " أديث " على النزول منها ، كانت الطبيبة تطل من نافذة العيادة ، ولم تكد تبصر ذلك الرجل ، حتى بدت الدهشة على وجهها وهى تغمغم :

- من ؟! آرثر هلمسلى ؟!!

وانتاب الطبيبة قلق شديد . .

كانت تعرف من يكون آرثر . .

فهو من أولئك الشبان العابثين الذين ينفقون أموالهم جزافا ويعيشون عيشة البذخ والإسراف . .

وكانت الطبيبة قد تعرفت إليه فى منزل إحدى الممثلات التى كانت

تعودها.

قالت الطبيبة تخاطب نفسها :

من المحال أن تحبه ، ينبغى ألا تفكر فى الزواج منه!

* * *

بعد بضعة أيام .. ذهبت الطبيبة إلى مكتبة " أدامستر " .

وشد ما كان ضيقها، حين وجدت أنه لا يمكن لإنسان أن يصل إليها ، دون أن يهبط عدة درجات تحت الأرض .. فضلا عن رطوبة المكان ، والروائح الكريهة المنبعثة من الكتب القديمة!

كانت الطبيبة تعرف أن " أديث " تتغيب فى هذا الوقت ، حيث تتناول وجبة الغذاء .

أستقبلها بائع الكتب بأسماله القذرة .. وسألها عن حاجتها .. فأجابته . وعندئذ ناولها كتابا نسج العنكبوت عليه خيوطه . وأدركت الطبيبة مدى ما تعانية " أديث " فى هذا الجو الخانق ، وكيف أن لها العذر فى أن تفكر فى الزواج ، تخلصا من هذا المكان الموحش ، رغم أنه زواج قائم على غير الحب !

وفى المرة الثانية التى ذهبت فيها " أديث " إلى عيادة الطبيبة .. بادرتها الطبيبة بالسؤال:

- هل أنت عازمة حقا على الزواج من آرثر هلمسلى؟

نظرت " أديث " إليها فى ذهول .. ثم قالت:

- نعم

وراحت الطبيبة تفحص الفتاة ، دون أن تتكلم

فلما فرغت من الفحص . . قالت :

- إن صوتا مدويا ينبعث من ضميرى .. ينبغى أن أستجيب له .. وأنقذك رغما عنك .

- لست أفهم مما تقولين شيئا!

- أخشى يا ابنتى أن أتركك تتزوجين من " آرثر " وبعدها لن أغفر لنفسى هذه الحماقة .لن أطيق وخز ضميرى ، وإنه ليسعدنى أن أتيح لك الفرصة لتدرسى أخلاقه ، وتقفى على ...

قاطعتها الفتاة قائلة :

- لقد صممت على الزواج منه ،ولو كلفنى ذلك مالا أطيق .

قالت الطبيبة:

- مهلا يا ابنتى .. لست أطلب منك أكثر من أن تنزلى ضيفة علىَّ طيلة أسبوعين ، فيصبح لديك من الوقت ، ما يمكنك من اصطحابه إلى أى مكان ، ولدى بعض الملابس التى ينقصها قليل من الإصلاحات لتصبح بعدها مناسبة لك تماما .

امتلأ وجه الفتاة بالخجل .. وقالت :

- كلا .. كلا .. لن يحدث هذا أبدا

ثم شكرت للطبيبة اهتمامها بأمرها.

وغادرت العيادة ..

* * *

فى شهر يونيو .. أخذت الفتاة طريقها إلى منزل الطبيبة ، وفى

يدها حقيبتها . . استقبلتها بالحفاوة والترحيب ، وأفردت لها الغرفة المجاورة لغرفة نومها .

قالت الفتاة للطبيبة :

- أشكرك على عطفك واهتمامك بأمر زواجى ، ومعاونتى للوقوف على أخلاق " آرثر " . . لكن أؤكد لك أننى سوف أتزوجه فى النهاية.

وفى مساء ذلك اليوم ، لبست " أديث " رداء حريريا من ملابس الطبيبة ، واصطحبت " آرثر " إلى مطعم " سبلندد " لتناول العشاء ، ثم ذهبا إلى أحد الملاهى ، وظلا هكذا بضع ليال .

حتى كانت أمسية ، انتحى فيها " آرثر " بفتاته ركنا فى المطعم وراح يبوح لها بما يملأ صدره من حب مشبوب ، متوسلا أن تبادله حبا بحب ، وأن ترضى به زوجا.

وعندئذ صمتت " أديث " كأنها تتمعن الأمر

ثم قالت :

- غدا أطلعك على رأيى بعد أن أفكر فى هذا الموضوع تفكيرا جديا .

* * *

فى هذا المساء عادت الطبيبة إلى منزلها قبل منتصف الليل بقليل كانت غرفة " أديث " موصدة الباب . مطفأة النور ، فأومأت برأسها فى أسى .. واتجهت إلى غرفة نومها .

كان القمر بدرا ، تنساب أشعته الفضية عبر نوافذ البيت فتفيض

حجراته بنور إلهى .

وراق للطبيبة أن تتملى جمال الطبيعة فى تلك اللحظة ، فخطت تجاه إحدى النوافذ وراحت تطل منها .

شاهدت تحت ضوء القمر ابنة البقال ، وصراف الصيدلية يجمعهما مقعد واحد . الفتى يحوط بذراعه عنق فتاته ،بينما يده الأخرى ممسكة بيدها ، وصوتها الحالم ينساب عذبا فى أذنيه :

- لشد ما يؤسفنى أننا سنعانى كثيرا من فقرنا يا حبيبى " بول"!

وفى صوت يذوب هياما وثقة .. يقول " بول " :

- لا تتشاءمى يا حبيبتى ، حسبنا أن يمتلك كل منا الآخر ، إنها ثروة كبيرة .

قالت الفتاة وهى تغض بصرها :

- سأكون لك نعم الشريكة ، بل سأصبح لك كل شىء .

وراح الفتى يقبلها فى كل موضع من وجهها .

ثم قال فى صوت هائم ومحب:

- كم أنت رائعة يا حبيبتى .

قالت الفتاة :

- وإذا أنجبنا طفلا فماذا نصنع ؟

احتواها الشاب بين ذراعيه ، وراح يهزها من كتفيها سعيدا .

- كم أنا مشتاق إلى أن يكون لنا طفل يا حبيبتى .

تراجعت الطبيبة عن النافذة ، وهى تخاطب نفسها :

- آه لو أتيح لأديث المسكينة أن تفهم ؟!

وسمعت الطبيبة دقات سريعة على بابها .. ففتحته .

كانت " أديث " هى التى تدق الباب ، فجذبتها إلى الداخل ، وراحت " أديث " تقول فى حزن وأسى :

- هل سمعتيهما ؟ لم يكن يدور بذهنى أن يكون الحب ممتعا مثلما سمعت ورأيت!

آه .. إننى لم أكن أعرف !

وأمسكت الطبيبة بيد الفتاة ، التى آلمها ما شاهدته على وجه الطبيبة من سمات الأسى .. بينما استطردت "أديث " سعيدة لأول مرة :

- سيدتى .. إننى الآن على استعداد لقبول العرض الذى نوهت لى به .. إننى سوف أكافح من أجل أن أكون مثل هذين العاشقين ، ولست أطلب من حياتى غير أن أحظى بمثل هذا الحب ..النبيل .. العذب ..

بى . ون

لن أخاف

قصة صينية

بى . ون

لـن أخـاف

قصة صينية

عبثا .. حاول " لى فانج " أن ينام !

تقلب على جنبيـه ، وغـاص ذهنه فى بحـر مضطرب بالأفكار ..يحاور نفسه ، ويتساءل : لكم يعتصرنى الجوع إلى الحب !

ولكن .. ألست أحب "سونج " ؟

إنها فتاة رقيقة وجميلة ..

آه لو أنى أتزوجها !

أعتقد أن السعادة حينئذ ستحوطنى من كل جانب .

ولكن .. لماذا يساورنى الشك والقلق فى أمر الزواج منها ؟.

آه .. إنها زوجتى ! زوجتى " لى سيان تشى " .

إذن ما الذى يمكن أن أصنعه ؟ أطلقها ؟.

الحل الوحيد هو الطلاق .

أجل .. سوف أطلق زوجتى !!

وراحت أفكاره المجهدة تتخبط فى متاهات من الحيرة والقلق

وتصفع ذهنه تيارات مصطخبة من أسئلة متواترة ، حتى لاحت له خيوط الفجر فاستسلم للنوم . غير أنه نوم المضطرب الذى تطارده شتى الخواطر ، فيتقلب على مثل الشوك والجمر !

إن " سونج " ذات الربيع الغض ، والجديلتين المرسلتين ، والخال المبتسم .. كانت زميلته فى القسم الذى يعمل به .. وحدث أنه مرض ، فتوفرت " سونج " على رعايته .. حتى أحس " لى فانج " أن العلاقة البسيطة التى تربط بينهما كزميلين ، قد ارتفعت درجة حرارتها ، وأصبحت شيئا فوق حدود الزمالة والصداقة . وأيقن أن ما بذلته " سونج " من عناية .. إنما هو تعبير صادق عن حب .. حب حقيقى .

* * *

كانت عائلة " لى فانج " تعيش فى قرية بعيدة ، على مسافة ست ساعات يقطعها بالقطار ، وثلاث ساعات أخرى يقطعها بالأوتوبيس . ونظرا لمشقة السفر .. اتفق مع أسرته على أن يذهب إليهم مرة كل عام .وبالتحديد كانت أسرته تترقب مجيئه فى فصل الشتاء ، غير أنه بعد أن تسللت إلى قلبه سهام كيوبيد ، وتعلقت مشاعره وأفكاره بالفتاة الرقيقة " سونج " .. قرر أن يؤجل سفره إلى بداية الربيع .

وجاء الربيع

إنه الآن على مبعدة من القرية ، وفى صدره تنبرى تلك الحوافز التى تحشده لمناقشة الموضوع مع زوجته " لى سيان تشى "

كيف يمكن أن يعبر الحديث معها إلى هدفه ؟.

وبأى نبرة يفصح بها عن رغبته ؟!

وفى " يانج تشانج " .. المحطة الأخيرة قبل قريته .. توقف الأوتوبيس وراح كثير من الركاب يهبطون ، بينما راحت عيناه تنظران عبر النافذة . لم يكن فى حالة تمكنه من التعرف على أحد معارفه بين جموع القادمين . ووجد أنه من المحتم عليه أن ينظم أفكاره خلال الدقائق القلية التالية .

لكنه تنبه فجأة على يد صغيرة تربت ساقه ، وصوت رفيع يغزو أذنيه:

- عمى .. عمى

واستدار إلى مصدر اليد والصوت ، ليرى صبيا فى الربيع الثانى عشر .. عندئذ هتف به :

- هالو .. سياباو .. لماذا أنت هنا؟

- جئت من أجل موعد

- موعد مع من؟

- مع " مؤتمر الصبية الأوائل فى مشروع غرس الأشجار "

واستطرد الصبى منفعلا :

- هل تعرف أن عمتى هى أولى ممارسات الأشجار فى حينا ؟

التفت واحد من الركاب ، يرتدى بدلة زرقاء ، وراح يسأل الصبى :

- ومن تكون عمتك هذه ؟

أجابه الصبى ، وفى نبرات صوته دفء الفخر والزهو والكبرياء:

- عمتى " لى سيان تشى "

وانبرت للصبى سيدة تحمل طفلا على كتفيها :

- آه .. لى سيان تشى ! أليست هى " النائبة " عن النساء ، فى قرية " شانتسون " وضواحيها ؟

ثم تحولت إلى " لى فانج " وركزت نظراتها عليه ، كأنما تريد أن تقول له:

- وأنت .. ألست زوج " لى سيان تشى " ؟

وعندما ناداه الصبى مرة أخرى " ياعمى " تركزت نظرات الركاب كلها على " لى فانج " والرغبة العارمة تدفعهم إلى المناقشة مرة أخرى .

لكنه تجاهل هذه النظرات

لم يكن مستعدا للحديث ، بل لقد كان يقتصد فى كلماته مع ابن أخيه الذى لم يره منذ عام

كان مشدودا إلى التفكير فى مسائل ، ينبغى التفكير فيها بعناية .. وبسرعة أيضا:

- " لى سيان تشى .. نائبة القرية .. والفائزة الأولى فى مشروع غرس الأشجار !! حسنا ! "

وأحس أن هذه الأشياء تضيف إلى ذهنه المثقل ، المتعب ، أشياء كثيرة .

كان الصبى " سياو باو " مازال يتكلم ..

ووجد " لى فانج " نفسه مضطرا لأن يطفو فوق سطح تفكيره ليجامل الصبى بالحديث .. أى حديث .. فسأله :

- كيف حال أمك ؟

- ثم استطرد وكأنه لا يجد ما يقوله :

- وأبوك ؟ ألا يزال يعود إلى البيت متأخرا ؟

- أمى طيبة .. بخير

وأمتد أصبع الصبى عبر نافذة الأوتوبيس ، وارتفع صوته فى حدة أكثر من ذى قبل :

- أنظر ياعمى هذه المصانع التى أقمناها هذا العام .. وهؤلاء الرجال ، أنهم يحفرون بئرا كبيرة .

هل تعلم أننا نريد أن نقيم عدة سواقى نروى بها الأرض بطريقة دائمة ؟ سندير هذه السواقى بالكهرباء ..

وهذه الأشجار .. انظر .. لقد غرسناها فى العام الماضى فقط ، لكنها نمت واخضرت هكذا كما ترى وسط غابة صغيرة .

واستمر الصبى فى حديثه ، حتى وصل الأوتوبيس إلى " شانتسون " فأشار قائلا :

- وهذا الكوبرى الضخم .. لقد أقمناه منذ عهد قريب .

وقبل أن يغادر الصبى عربة الأوتوبيس .. نظر إلى عمه " لى فانج " فى هدوء .. قائلا :

- غدا سوف أصحبك إلى المبانى الجديدة ، لكى أريها لك

والآن .. سآخذ طريقى إلى المدرسة ..

إلى اللقاء يا عمى.

لاتنس أن توصل قبلاتى إلى جدتى .

* * *

حين وصل " لى فانج " إلى بيته ذى الغرف الثلاث النائمة فى حضن الأشجار الكثيفة .. ألقى عليه نظرة مشتاقة وهو يهمهم لنفسه :

- من العسير أن ينسى الإنسان وطنه القديم .

وتأمل البيت مرة أخرى وهو يعانقه بقلبه :

- آه .. يابيتنا المحبوب !

لم يكن " لى فانج " قد رأى منزل الأسرة منذ عام .ولا يدرى لماذا بدا له كئيبا حزينا . حتى الأشجار التى تظلله .. هى الأخرى باهتة الخضرة فى عينيه . ولا يدرى أيضا لماذا تمثل له البيت صغيرا عما كان عليه من قبل ! فلما اقترب من المنزل ، شاهد سياجا من الأشجار الصغيرة يحوط به ، وقد استحدثت به بوابة ضيقة ، دفعها بيديه ، فلم تنفرج ، وحينئذ اضطر إلى النداء بصوت عال :

- سيان تشى .. سيان تشى .

ومن الداخل انساب إلى أذنيه صوت أمه التى هرعت إلى الباب ، ففتحته ،وألقت بنفسها على صدره فى عناق طويل حار ، ثم تناولت يده ودخلا .

قالت له أمه وهو ينظر فى دهشه إلى أبواب الغرف الثلاث:

- لقد كتبنا لك خطابا نخبرك فيه ببناء المنزل الجديد .. ألم يصلك؟

وقبل أن يجيب .. استطردت :

أما المنزل الصغير الذى زوجناك فيه ، فقد جعلناه حظيرة للخراف الثلاثة التى نملكها .

وأحضرت أمه حوضا به ماء ، ليغتسل منه ..

ثم راحت تدور حوله طروبة ، وهى تسأله عما إذا كانت لديه رغبة فى تناول الطعام أم لا .

وراح " لى فانج " يسرد على أمه قصة غامضة مبهمة عن خطاب وصله خلال أيام مرضه .. قائلا إن الخطاب قد ورد به موضوع المنزل الجديد .وبطريقة مضحكة - فيها صعوبة وجهد - أجهش كل عواطفه وحبه لهذا المنزل الجديد ، إذ اعتبره إنجازا هاما ، لحلم كان صعب التحقيق .. فقد كان هو وأسرته الفقيرة لا يملكون شبرا واحدا من الأرض ، وها هم اليوم يجدون الفرصة لبناء منزل جديد خلال خمس سنوات ، منذ أن قامت الثورة .

وأفاق " لى فانج " من تأملاته ، ليقول :

- يكاد هذا المنزل الجديد يشعرنى أننى فى حلم !

ولكن .. قولى لى ياأمى : أين سيان تشى ؟

انتظرت أمه لحظة ، انتهى خلالها من غسل وجهه ، واستدارت نحوه قائلة:

- لقد ذهبت إلى المؤتمر..

وجلست أمه بجواره ، وقربت شفتيها من أذنه لتهمس :

- لو لم تأت اليوم يابنى .. لما استطاعت أمك أن تعرف ماذا تصنع !

أجابها " لى فانج " منزعجا !

- لماذا ياأمى ؟ هل حدث شىء من سيان تشى ؟!

- إن أمك تغض بصرها عن أشياء كثيرة ..

فهى تخرج مع أول خيط من نور الصباح .. ولا تعود إلا قبيل الظهر ، حيث أكون قد انتهيت من إعداد الغداء . وقبل أن تنتهى من طعامها ، تقول لى : " أنا ذاهبة يا أمى إلى الاجتماع "

وأحيانا كثيرة ، لاتعود من الاجتماع قبل أن يصيح الديك وقت الفجر .

ولك يابنى أن تتخيل مدى قلقى عليها . إنها لا تزال شابة وبيتنا بعيد جدا عن الطريق !!

وعندما حاول " لى فانج " أن يشرح لأمه هذه الأشياء لم تعطه الفرصة .. وراحت تكمل :

- لكن هذه الأشياء ليست ذات أهمية . أول أمس .. أمطرت السماء .. فاضطرت " سيان تشى " أن تبقى فى البيت .. أتعرف ماذا حدث يومها ؟ راحت تغرينى بشتى الوسائل قائلة لى :

- يجب أن تنضمى للنقابة ياأمى ؟

يومها يا بنى أحسست بالبرودة تسرى فى قلبى ، وقلت لها متسائلة :

- وأية ميزة فى أن أنضم للنقابة ؟

فأجابت :

- أوه .. ميزات كثيرة يا أمى .

ثم أخذت تعدد لى هذه الميزات واحدة بعد الأخرى .. فقلت لها على الفور.

- إذن ،ليس لدى مانع من الانضمام للنقابة .

وتناول " لى فانج " يد أمه .. محملقا فى عينيها بفضول وشغف .. قائلا:

- والأن يا أماه .. عليك أن تصغى لى جيدا .

وراح يستغل كل مقوماته ومواهبه وذكائه شارحا لها بإخلاص

وعقيدة ، العوامل الهامة لأهمية الانضمام للنقابة .. مدللا على كلامه بمقارنات وإشارات وأمثلة ، كان كل هدفه إقناع أمه ، فقد كان هو نفسه واحدا من العمال الأجراء

ولم تجادله أمه فى الأمر . . لا لأنه استطاع إقناعها فحسب . . وإنما لأنه ابنها الحبيب

صمتت حتى انتهى من كلامه .. ثم قالت له :

– والآن .. سأذهب لأحضر لك "طبق حلو" . . يجب أن تتناول طعامك الآن.

أما " سيان تشى " فقد أوشكت أن تعود حالا .

وكان " لى فانج " قد أحس بالتعب .. فأخذ طريقه إلى غرفة النوم .

* * *

على الرغم من أن المنزل كان جديدا .. إلا أن كل شىء فى حجراته كان مألوفا لديه . الناموسية " اللبنى " المدلاة فوق السرير، الملاءة البيضاء الناصعة ، والوسادتان النظيفتان المكتوب على غطائهما "تستطيع الزهور أن تتفتح .. والقمر أن يكتمل" .

كل الغرف تبدو فى زينتها ، مثلما كانت عليه ليلة زفافه ، ما عدا صورته المعلقة على الحائط ، والتى علقت حديثا . كانت الصورة ملصقة على ورقة حمراء مربعة .. معلقة فى ركن الغرفة ، وقد أحاط بها إطار من الورق المذهب ، وحولها ستائر حمراء محلاة برسوم على شكل مقصات صغيرة الحجم ، مدلاة على صدر النافذة . كانت " سيان تشى " تهيم إعجابا بمنظر المقصات .. ولابد أن كل شىء فى الغرفة

صنعتـه بيديهـا خـلال السنة الماضيـة، وبدا له كل شىء فى الغرفـة رائعاوجميلا .. تماما مثل زوجته .. وبلا وعى ،انتزع نفسه من السرير جالسا .. فقد أحس شعورا بالراحة والهدوء .. نوع من راحة وهدوء يستشعرهما مسافر بعيداً عن بيته وأسرته ، عاد إليهما أخيرا .

وعندما تسلل إلى أذنيه صوت " سيان تشى " من الخارج نهض واقفا ، وكأنما كان فى حلم .

دخلت " سيان تشى " فذهلت نظراتها عليه

جرت نحو صدره ، ففتح لها ذراعيه ، واحتواها . ثم انساب صوتها متهدجا ،كما لو كانت طفلة تبكى على صدر أمها :

- وأخيرا .. عدت يا زوجى الحبيب !!

فى هذه اللحظة تناولها من يديها .. وأجلسها بجواره على السرير هامسا فى أذنيها :

- سيان تشى .. لماذا تبكين ؟!

وصمت لحظة ، راح خلالها يتأمل وجهها البرئ كالطفولة .. عينيها المفعمتين بالثقة .. قميصها القطنى .. أصابعها الناعمة .

ومن خلال تأملاته .. قفز إلى رأسه هدفه من المجئ إلى المنزل ، والقرار الذى اتخذه بشأن الحديث معها فى أمر الطلاق .

لكن شعورا لا يمكن وصفه .. تغلب عليه !

وأمام صورة زوجته .. وجمالها .. وشبابها .. وشغفها به .. وحبها له .. تبخرت كل قراراته !!

كيف بلغ به الحمق حدا جعله يعتقد أن حبه لـ " سونج " أكبر وأضخم من حبه لزوجته ؟

ومع المقارنة الذهنية لم يستطع أن يوقف الدموع الغزيرة التى ترقرقت فى عينيه، وامتدت يداه إلى يدى زوجته . جذبها نحوه هامسا:

-هل كنت تفكرين حقا فى عودتى ؟

- نعم . . وكنت أعرف أنك ستأتى خلال بضعة أيام !

- كيف ؟!

- رأيت فى المنام أنك آت إلينا .. أرجوك لا تضحك

وحاول " لى فانج " أن يكبح جماح عواطفه ، حين نظرت إليه " سيان تشى " وتأملت عينيه قائلة :

- فيم تفكر ؟ لابد أنك تضحك منى فى قرارة نفسك !

- أبدا . . ولماذا أضحك منك ؟

- حسنا .. إذن فأنت تضحك من رداءة الخطاب التى بعثت به إليك ؟!

شرد لحظة ، قبل أن يسألها:

- وهل بعثت لى خطابا ؟

.. وضحكت " سيان تشى " ضحكة ملؤها السعادة والحب والدلال .. وهى تقول :

- ألم يكن حضورك استجابة لرغبتى فى الخطاب الذى أرسلته إليك ؟ أم أنك جئت بدافع الحنين ، بعد أن غبت عنى فترة طويلة ؟.

تصور أن الناس هنا متألمون من غيبتك الطويلة عنى ؟ .

لقد ظنوا أنك ستبقى هناك فترة أطول ! .

من يدرى .. ربما أصبحت فى غنى عنى ..

أو ربما تريد أن تسلمنى للقدر الذى تعرضت له عمتك ..

لكم كنت خائفة يا " لى فانج "

- وماذا حدث لعمتى ؟

- طلقها زوجها بعد أن حاول الجميع عبثا أن يصلحوا بينهما ! هل من الصواب أن يطلق الرجل زوجة كانت تشاركه حياته الشاقة ، وكفاحه المرير ؟!

وعند المقطع الأخير من حديثها .. أحست فى نبرات صوتها تعبيرا عن كل مشاكل الزوجات فى الحى الذى تنوب عنه . ثم رسمت على شفتيها ظلال ابتسامه رقيقة .. وراحت تغير من مجرى الحديث قائلة :

- لاداعى للحديث فى أشياء غير سارة ، خصوصا وأنت فى اليوم الأول من مجيئك . أعرف أنك طيب . . ولست من ذلك النوع من الرجال .

وراح كل منهما ، يحضن بعينيه وجه الآخر .. فى شوق .

* * *

كانت أشعة الشمس الغاربة ترسل خيوطها الذهبية على الفناء الصغير ، بينما " سيان تشى " ولى فانج " يرتشفان كوبين من الشاى .. حين سألها قائلا :

- وماذا عن الاجتماع الذى شاركت فيه اليوم ؟

- اجتماع نقابة العمال الزراعيين . تصور أن ثمانين فى المائة من سكان الحى انضموا إلى النقابة . لكم كنت خائفة ! وهذا هو السبب الذى من أجله كتبت إليك . يجب ألا نتخلف عن الآخرين . . وأنت تعرف ذلك جيدا .

- قلت لماذا كتبت إلى ؟

- لماذا ؟!

وامتدت على وجهها ظلال من الوجوم ، قائلة فى عتاب :

- لى فانج !

ثم بدأت تهدأ .

قفزت إلى جوار زوجها واستطردت :

- إنك لا شك تعرف الأشياء أكثر منى . هل نأخذ موقفا من الانضمام للنقابة ؟ هل نأخذ ؟

وركزت عينها فى عينيه ..

ولم يستطع " لى فانج " أن يخنق الابتسامة التى أخذت طريقها إلى شفتيه وهو يسأل :

- ما رأيك أنت ؟ على أية حال ، إذا أخذت موقفا من النقابة ، فلا أقل من أن نشجع للانضمام إليها .

وجذبته " سيان تشى " من سترته وهى تقول :

- إذن فأنت - بالتأكيد - تشعر بضرورة الانضمام إلى النقابة .

وتساقطت على خديها دموع الفرح وهى تستطرد :

- هذا شىء رائع . لقد كسبت المعركة بموافقتك

أبتسم " لى فانج " مرة أخرى وهو يقول لها :

- وأية أهمية فى ذلك ؟ بالنسبة لك على الأقل ؟

ثم جذبها من كتفها وأجلسها بجواره ، قائلا :

- إنك تمثلين كالأطفال !

كانت عيناها قد أغرورقتا بالدموع ، حين تناهى إلى أذنيها

صوت من خارج المنزل ، آتيا من وراء السياج الأخضر ، مناديا :

– لى سيان تشى... لى سيان تشى

عندئذ أتسعت حدقتا عينيها فى دهشة .. وهرعت إلى الخارج مسرعة ..

وشاهد " لى فانج " ديكا كبيرا يفرد جناحيه عبر البوابة المفتوحة فنهض ليهشه بعيدا .. غير أن الديك ، راق له أن يحاوره .

فكلما هشه بعيدا. عاد إليه !

فى هذه اللحظة ، شاهد واحدا من الرجال يدخل البوابة ، متجها إليه :

– أوه .. لى فانج !! متى عدت ؟

– هالو.. تاهاى .. عزيزى

كان الاثنان صديقين منذ الطفولة ، وعملا معا كأجيرين فى أراضى الإقطاعيين .. فى الماضى ..

استقبله " لى فانج " استقبالا حارا .. ودخل به حجرة الجلوس، وعلى شفتيهما بوادر حديث طويل .

قال تاهاى:

– لقد جئت الآن لأتحدث مع " سيان تشى " فى موضوع النقابة كنا قد كتبنا للنقابة طالبين وعدا بانضمامنا إليها . أريد أن أسألها عما تم فى أمر عضويتنا .

– قل لى ياتاهاى .. لماذا أنت مصمم على الانضمام للنقابة ؟

عندئذ حملق فيه " تاهاى " بدهشة ..

لكنه سرعان ما انفجر ضاحكا وهو يقول :

- لماذا ؟!

ياأخى العزيز . . لاشك أنك تداعبنى بهذا السؤال . . أليس كذلك؟.

عموما نفترض أنك الآن عائد لتقوم بزراعة أرضك .

هل يرضيك أن تكد وتكدح ويتصبب عرقك سدى ، كأى أجير يشتغل والسوط فوق ظهره ؟ .

هل أنت قانع بذلك المحصول الضئيل الذى تنتجه الأرض ؟ .

وهل أنت راض بهذا الكبت الذى يحرمك من حرية المناقشة فى أمور الزراعة والسياسة وتنمية المحاصيل ومحاولة الفهم والدراسة ؟.

أى نوع من الحياة هذه ؟ .

على العموم ، تأمل موقف المصانع هذه الأيام ، ومن خلالها تعرف كل شىء.

ومن الخارج جاءهما صوت الأم يصيح فى انفعال حاد :

- أوه .. لماذا لا تظل البوابة مغلقة ؟ .

إن ديوك الجيران قد دخلت والتقطت كل ما على الأرض

ثم راحت تهش الديوك ، فى الوقت الذى تأهب فيه " تاهاى " إلى النهوض ، مشيرا بيديه إلى " لى فانج " استعدادا للرحيل .. لكنه قبل أن يصل إلى باب الحجرة همس قائلا :

- إن أمك لاتتحدث معى فترات طويلة هذه الأيام ،وذلك بسبب الانشغال بالنقابة

لكن " سيان تشى " إنسانة رائعة ..

إنها تسلك كل الطرق ، لإشراك جميع أبناء الحى فى النقابة .

يالها من شخصية جريئة ، رغم أن الذين يعرفونك يعتقدون أنك أنت الذى تمدها بكل هذه الشجاعة.

وكان لى فانج ، قد نهض هو الآخر ليودعه .

* * *

ليس هناك مكان أجمل من بيت الإنسان !

أى طعام لذيذ يمكن أن يتناوله مسافر عائد لتوه من رحلة طويلة؟

إن الشاى الخفيف .. والطبيخ البيتى .. هما أحسن شىء فى هذا الوجود !

وراح " لى فانج " يقضم قطعة من السمك قائلا :

- هل من الممكن أيضا أن يشترى الإنسان سمكا طازجا بعد الظهر؟

ردت أمه وهى خارجة من عشة الدجاج:

- " تانج يايانج " هو الذى اصطاد لك هذه السمكة .

وهتفت " سيان تشى " قائلة فى إعجاب :

- تصورى يا أمى أن طعمها حلومثل السكر تماما .. ألا تشاركينا يا أمى هذا الغداء اللذيذ؟

وبينما هما ياكلان قالت " سيان تشى " لزوجها :

- لقد أصيب " تانج يايانج " فى إحدى ساقيه ، ولم يتمكن من القيام بأعماله الكثيرة فى الحقل .. وظن أنه لن يستطيع الانضمام إلى النقابة .لقد كان متألما من هذا الحرمان .لكنى تكلمت بشأنه مع "تاهاى " على أساس أنه يستطيع القيام باعمال كتابية للنقابة ، حتى إذا شفيت ساقه .. تمكن من القيام بالأعمال الزراعية .

لقد كان الصوت الذى نادى منذ قليل ،صوت زوجته جاءت تبحث عنه ، فلما قلت لها إن النقابة قد قبلت عضويتهما ، أحسست أن السماء قد أغدقت عليهما بالبسمات والفرح . ورأيت دلائل البهجة ترفرف عليهما بفيض من السعادة .

* * *

أخيرا ...

عاد " لى فانج " و " سيان تشى " إلى حجرتهما ..

نظرت " سيان " إلى ركن الغرفة قائلة فى شىء من الضيق :

- أوه .. إن مصباح الجاز غير مضاء.

فرد عليها " لى فانج " فى ود وحنان وحب :

- لسنا فى حاجة إلى الضوء.

- لحظة واحدة يا " فانج "

وشاع فى جوف الغرفة ضوء أحمر ، انعكس على وجه " سيان تشى " فبدا جذابا رائعا . وابتسمت شفتاها فى همس حنون :

- ألا تشبه هذه الليلة .. ليلة عيد رأس السنة ؟

- بل هى تشبه ليلة زفافنا ..

- أوه . . أنا مكسوفة.

وضمها إلى صدره هامسا:

- إننى أعنى ما أقول

الليلة تشبه ليلة زفافنا بالضبط . وحقيقة أخرى اكتشفتها الليلة .. ذلك أن حبى الوحيد الحقيقى هو أنت يا "سيان تشى " وعليك بعد الليلة ألا تخافى من أى شىء مطلقا.

فردت عليه وهى تلوذ بصدره:

- أبدا .. لن أخاف بعد اليوم .

أنطون تشيكوف

عاشق من مونت كارلو

قصة روسية

أنطون تشيكوف

عاشق من مونت كارلو

قصة روسية

قال الدكتور نيكولاى يجرافيتش، فى عصبية :

- ما هذه الفوضى ؟!

أما نهيتك مرارا عن العبث بالأوراق التى تكون على مكتبى ؟ .

كانت هنا برقية .. أين اختفت ؟ ابحثى عنها حالا . إنها من " قازان " وتاريخها أمس .

وراحت الخادمة - وهى فتاة نحيلة ، شاحبة ، ذات وجه بليد التعبير - تدير بصرها فى مساحة الغرفة ، حتى عثرت فى السلة الموضوعة بجوار المكتب ، على بضع برقيات، دفعت بها إلي الدكتور نيكولاى، دون كلمة.

لكن الدكتور اكتشف أن هذه البرقيات جميعها من مرضى . فراح كل منهما - الدكتور والخادمة - يبحثان من جديد فى غرفة الاستقبال .. ثم فى غرفة أولجا ديمتريفنا .

كان عقربا الساعة يشيران إلى منتصف الليل

وكان الدكتور نيكولاى يدرك تماما أن زوجته لن تعود الآن . بل لن تعود قبل الخامسة صباحا .وبالرغم من أنه لم يكن يثق بها . . إلا أنه لن ينام قبل أن تعود

كان يبغضها ويزدريها

وأشد ما كان يؤلمه ويشعل فى صدره البغض والكراهية لها ، رؤيته تلك الأمتعة ، وصناديق الحلوى المتناثرة هنا وهنالك .. وباقات الزهور ، التى تصلها من أشخاص لا يعرفهم !

إنه فى مثل هذه الأمسيات ، يضيق ذرعا بنفسه ، ويعانى من الإرهاق .ويقع فريسة للشكوك والأوهام.

إن رغبة ملحة تستولى عليه هذه الليلة ، فى أن يعثر على البرقية التى بعث بها أخوه إليه ، رغم أنها لاتتضمن شيئا غير التهنئة بالعيد.

وبينما هو مشغول بالبحث عن البرقية .. وقعت عيناه على "تلغراف" ، ألقى عليه نظرة خاطفة ، فعرف أنه مرسل إلى " زوجته" من "مونت كارلو" وموقَّع بإمضاء : متشل !

وحاول الدكتور أن يفك رموز "التلغراف " ، دون جدوى

كان مكتوبا بلغة يجهلها ،وأغلب الظن أنها اللغة الإنجليزية!

وهكذا وجد نفسه أمام سيل من الأسئلة المتزاحمة

من ياترى يكون متشل هذا ؟

ولماذا أرسل من مونت كارلو ؟!

وعاد إلى غرفة مكتبه ، وسط عاصفة من الانفعالات ، أعادته إلى ذكريات عام ونصف عام مضى .

* * *

ففى ذات يوم راق له أن يصطحب زوجته إلى بطرسبورج ، وهناك تناولا طعام الغداء مع صديق قديم ، وتصادف أن هذا الصديق قدم له ولزوجته شابا فى نحو الثانية أو الثالثة والعشرين ، اسمه متشل إيفانوفتش ، وعقب ذلك بشهرين فوجئ الدكتور بصورة الشاب فى ألبوم " زوجته " وفى أسفل الصورة عبارة تقول :

"إذا افتقدت الحاضر بذكراه ، والمستقبل بأمله .. فانشديهما هنا"

ثم التقى فيما بعد بذلك الشاب . كان ذلك فى الوقت الذى كانت زوجته منصرفة فيه إلى حياتها اللاهية ، غير عابئة بشئون البيت ، الذى لا تعود إليه قبل الرابعة أو الخامسة صباحا !

وكانت زوجته تلح عليه دائما ، لكى تحصل على جواز سفر إلى الخارج . لكنه لم يحقق لها تلك الرغبة ، الأمر الذى كان يثير شجارا عنيفا بينهما دائما

ومنذ نصف عام على وجه التحديد .. لاحظ أصدقاؤه أن صحته تتدهور ، وأنه من الضرورى أن يسافر إلى " القرم" لكى يستشفى هناك فلما عرفت زوجته ذلك ، فزعت واستشعرت القلق على صحة زوجها ،وراحت تؤكد له أن جو"القرم" تسوده رطوبة دائمة ، وإذا كان لابد له من السفر فمن الأفضل أن يذهب إلى "نيس "حيث ترافقه ، وتسهر على العناية به .

لقد أدرك الآن سر تلك اللهفة التى كانت تدعوه بها للذهاب إلى "نيس". . إن متشل العزيز يقيم هناك .. فى مونت كارلو !!

* * *

تناول الدكتور قاموسا للغة الإنجليزية ، استطاع به أن يقرأ عبارات التلغراف المبهمة

كانت سطور التلغراف تقول : "إننى أرتشف - فى ظمأ - نخب عشيقتى الفاتنة ،وأقبل قدميها الصغيرتين آلاف المرات . .وأترقب قدومها على أحر من الجمر " .

كانت عيناه تصطدمان بالحروف .. فيتصور أى مهزلة كانت ستقع لو أنه استجاب إلى إلحاح زوجته عليه بالسفر إلى" نيس "

لقد امتلأ صدره بمشاعر الانقباض .وها هو ذا يستسلم إلى البكاء فى صمت حزين ، ثم ينهض متثاقلا ، يقطع الغرفة ذهابا ، وإيابا ، يضرب كفا بكف ، وهو فى دهشة من أنه - وهو ابن قسيس القرية ، الذى تلقى بالمدرسة علومه الدينية ، ونشأ على الاستقامة والمحافظة - كيف يترك العنان لزوجته هكذا ؟!

راح مرة أخرى يجتر عبارات "التلغراف": "قدميك الصغيرتين .. قدميك الصغيرتين " بينما تجسدت له ذكريات سبع سنوات ، منذ أن وقع فى غرام هذه المرأة وأعلن خطبتها .

إن كل ما يتجسد له الآن من وراء تلك السنين ، التى عاشها معها .. جدائل شعرها الفاحم المسترسل ، متناثرا على وجهها فى ثورة ، ما كان أحبها إلى نفسه . وقدماها الصغيرتان .. وكانتا حقا صغيرتين جدا . إنه يكاد يحس رائحة العطر يفوح من شعرها ، وكأن شذاه يعربد الآن فى خياشيمه !

إن عشرات المشاحنات التى كثيرا ما نشبت بينهما ، كانت تتبخر

أمام حرارة حبه لها.

كان ينسى كل ما يصدر عنها من تهديدات

وكل ما يذكره أيضا أنه أنفق أزهى وأجمل سنوات عمره على مذبح تهاونها .

لقد شحبت آماله وتدهورت صحته ، وأصبح يعيش فى جو مسموم بالمنغصات.

إن العشرة آلاف روبية التى يحصل عليها كل عام ، لايكاد يجد منها عشر روبيات يبعث بها إلى أمه العجوز فى القرية النائية ، بل إن ديونه تجاوزت الخمس عشرة ألف روبية !

كان يردد كثيرا فيما بينه وبين نفسه :

- لو أن عصابة من اللصوص كانت تلازمنى فى حياتى ، ما كنت بلغت هذا الحد من الإفلاس ، الذى دفعت بى إليه هذه المرأة !

وراحت أنفاسه تختلج ، وهى تنبعث من رئتيه مصحوبة بسعال حاد . فلما شارفت الساعة على الخامسة صباحا ، كانت قواه قد خارت ، وتهالك على المقعد منهوكا ، وهو يقاوم شيئا يحاول أن يثب من أعماقه . وخيل إليه أن ما أصابه من تعاسة ، إنما يرجع السبب إليه وحده ، فلا يلومن غير نفسه !

لو أنه لم يتزوجها..

لو أنه تركها تتزوج رجلا آخر ذا بأس وشكيمة..

من يدرى؟

لعلها كانت تبدو أحسن حالا مما هى عليه الآن !!

حقا .. إنه رجل شقى ضعيف ليس لديه من التجارب ما يؤهله لأن

يقتحم قلب امرأة ، ويستأثر به . إنه رجل عبادات .. ودعوات !

وبينما هو كذلك .. تلقفت أذناه صوتا يهمس من داخله :

- إنك لن تحيا أكثر من هذا..

أنت رجل محكوم عليه بالموت..

يجدر بك ألا تعترض طريق الراغبين فى الحياة..

ومن البلاهة أن تصر على أن لك حقا يجب أن تناله..

تحكم فى عواطفك..

تستطيع أن تعطى تلك المرأة حياة حرة تعيشها مع من تحب.

كان مطرقا إلى الأرض ، ينصت إلى هذا الهمس فى سكون ، حين تناهى إليه صوت خطوات قادمة من الخارج .

لقد عادت أولجا ديمتريفنا أخيرا.

دخلت غرفة المكتب..

ألقت بجسدها المتناسق على أحد المقاعد..

قالت وهى تعانى آثار الإرهاق :

- يالهذا الشاب المترهل !! إنه حقا خائن وقذر.

يجب أن نمقته .لا .. ليس فى استطاعتى أن أتحمل هذا!

انبرى الدكتور نيكولاى يسألها:

- ماذا حدث

- ذلك الطالب " آذار بيكوف" دعوته ليوصلنى إلى المنزل ، فأضاع حافظة نقودى وبها خمس عشرة روبية ، اقترضتها من أمى .

كانت تتكلم بصوت مرتفع ، والغضب ينهمر من عينيها دموعا حولت منديلها إلى خرقة مبللة .. حتى قفازها !

قال الدكتور:

- الامر ليس من الأهمية بحيث تعانين هكذا

اهدئى واخفضى من صوتك ، فإن لدى أمرا أهم يجب أن أفضى به إليك.

- وهل أنا مليونيرة حتى أتهاون فى نقودى إلى هذا الحد ؟

لقد وعدنى بإعادة النقود . لكنى لا أصدق وعده . . إنه فقير

- لا أريدك أن تهتمى بهذا الأمر .

غدا سيكون بين يديك خمس وعشرون روبية ، إذا أسكت لسانك ، وأوقفت هذا السيل من الغضب !

-إذن أخلع ملابسى . فهى تضايقنى أثناء الحديث فى أمور خطيرة خاصة وأنا مرتدية هذا المعطف الثقيل .

ومرت لحظات ، عادت بعدها ..

كانت قد غيرت ملابسها ، ونثرت البودرة على وجهها ، وإن كانت آثار الدموع ما تزال فى عينيها .

جلست فى مواجهته ، وقد سقط على وجهها شعاع من الضوء زاد من تألقه..

وغرق الدكتور نيكولاى فى ذكرياته القديمة ، فلم يعد يرى فى زوجته غير شعرها الفاحم المسترسل فى ثورة ما كان أحبها إليه .وغير قدميها الصغيرتين.

سألته والمقعد يهتز من تحتها كمن أصابته حمى :

- بماذا تريد أن تفضى إلى ؟

- لقد عثرت على هذا ..

وأومأ برأسه إلى "التلغراف".. ثم ناوله إياها .
وبعد أن قرأته ، هزت رأسها ثم قالت :
- ليس فى هذا ما يثير فضولك ياعزيزى..
إنه تهنئه برأس السنة .
- أحب أن أقول لك يا أولجا إن هناك على مكتبى قاموسا للغة الإنجليزية ، فسر لى ما يحتويه هذا "التلغراف".
إنه من متشل .. وهو يرتشف - فى ظمأ - نخب عشيقته الفاتنة ، ويقبل قدميها الصغيرتين آلاف المرات . .
ولكن .. دعينا من هذا .. فهو لا يضيرنى كثيرا ، وهذه ليست أولى خطاياك .
كل ما أريده الآن هو أن أضع حدا لهذه المهزلة .
تستطيعين أن تكونى كما تريدين . فإنك ستصبحين حرة طليقة.
ساد المكان صمت مباغت ، قطعته أولجا بالبكاء ، والنحيب ..
بينما استطرد الدكتور نيكولاى ، وهو يقاوم مرارة الكبرياء المهزوم :
- إننى أريد أن أحررك من قيودى .
إذا كنت تريدين حب هذا الشاب .. فأحبيه.
وإذا كنت ترغبين أن تسافرى إليه حيث يقيم ،فافعلى . إنك امرأة ذات أنوثة فائرة . أما أنا فرجل معتل . الموت أقرب ما يكون إلى . وأعتقد أنك لا تجهلين ما أقصد .
ومات الكلام على شفتى نيكولاى ، فلم يستطع أن يزيد شيئا. .
أما أولجا فقد راحت تحكى فى صوت الخاطئة قصة إثمها. .

أفهمته أنها تكن لمتشل حبا وتقديرا عظيمين . .
وأنها كثيرا ما صحبته إلى نزهات خارج المدينة . .
وأنها تنوى السفر إلى حيث يقيم .
ثم أضافت :
– وهكذا لم أخف عنك الحقيقة كما ترى
والآن .. أتوسل إلى كرمك وعطفك ، أن تمنحنى جواز السفر .
– ألا يكفيك ما قلته وأكرره ، وهو أنك ستصبحين حرة طليقة . .
ولك أن تتصرفى فى نفسك كيفما تحبين؟!
انتفضت أولجا واقفة ، تحركت قليلا ثم اضطجعت على مقعد آخر ، وأخذت ترقب ما يطرأ على وجه نيكولاى من تعبيرات . إنها تريد أن تقف على حقيقة الأمر:
هل هو جاد فيما يقول ؟
أم أنه يسخر ويتهكم ؟
لقد اعتادت ألا تصدق إنسانا مهما يكن نقاؤه ، وصدق نواياه !
وحينما سددت نظراتها نحوه ، خيل إليه كأن شعاعا أخضر يومض فى عينيها فبدتا كعينى قطة.
سألته فى رقة :
– متى تمنحنى جواز السفر ؟
وأعترته نوبة من الغضب فقال :
– لن تحصلى عليه.
لكنه سرعان ما استدرك هادئا :
– متى تريدين .

- سأقضى شهرا واحدا
- ستذهبين إلى متشل .. وسوف أطلقك ، لأمنحك فرصة الزواج منه ..

أجابته أولجا :

- لكنى لا أريد الطلاق ..كل ما أريده هو جواز السفر .

سألها نيكولاى :

- ولماذا ترفضين الطلاق؟

أجابت وهى تبتعد عنه :

- لقد فهمتك . .

إنك سئمت حياتى ، وتريد أن تتخلص منى

أشكرك ،ولكنى لست من البلاهة بحيث لا أفطن إلى "لعبتك" . لن أقبل الطلاق ، ولن أتركك . تريدنى أن أفقد مكانتى فى المجتمع ؟

ثم .. الا تعرف أننى فى السابعة والعشرين .. بينما متشل فى الثالثة والعشرين ولابد أنه سيضيق بى بعد فترة ، حين يتوهج شبابه ، بينما يكون شبابى آخذا فى الانطفاء . وبعدها لا يضيره أن يتخلص منى . إننى أدرك تماما أن عاطفتى المشبوبة نحوه ، لن تدوم أكثر من عام ! أفهمت ؟ .

ماذا تريد أن تعرف أكثر من هذا ؟.

وعليه .. لن أتركك .. لن أتركك مهما حاولت .

عندئذ صرخ نيكولاى فى عصبية :

- لابد أن أخرجك من حياتى بأية وسيلة ..

سأطردك .. نعم سأطردك.

أجابت :

- سنرى!

وتركته وأنصرفت ..

* * *

جاء الصباح ..

الدكتور جالس إلى مكتبه يخط على ورقة أمامة بحركة لا شعورية: "سيدى الفاضل .. القدم الصغيرة .

ثم يغادر الغرفة إلى غرفة الاستقبال من وقت لآخر .. حيث يقف متاملا صورة كبيرة معلقة على الحائط .. الصورة التقطت منذ سبع سنوات له ولزوجته أولجا ديمتريفنا ، ولأبويها ، حين كانت فى العشرين ، وهو فى عنفوان شبابه . كان أبوها رجلا وسيم الطلعة ، أنيق المظهر ، وأمها كانت مفرطة فى السمنة ، وذات نظرات صارمة.

أما أولجا ، فكانت نظراتها أحد من السيف ، وفى عينيها لؤم ودهاء ، كأمها .. بل أشد !

وهو كان يبدو فتى ساذجا ، ذا قلب طيب..

لقد اعتقد أنه عثر على نصفه المنشود..

إنه يذكر جيدا تلك الأغنية العذبة التى كان يرددها حين كان طالبا:

إن حرارة الشباب تذوب..

والحياة تصبح باهتة..

حين يفقد القلب إيمانه بالحب .

وألقى على نفسه سؤالا ، حار فى الإجابة عليه :

- كيف - وهو ابن قسيس القرية الذى تربى تربية دينية بحتة - يضع نفسه رهن نزوات هذه المرأة المستهترة ؟!

وحان موعد ذهابه إلى المستشفى الذى يعمل به ، فارتدى معطفه ، وتهيأ للخروج ، حين دخل الخادم عليه غرفة مكتبه .. فسأله :

- ماذا تريد؟

أجاب الخادم:

-لقد استيقظت سيدتى .. وهى تذكرك بالخمس وعشرين روبية التى وعدتها بها أمس !!

هـوامــش
واضــاءات

تحرير: عبدالقادر حميدة

(١)ماوتسى تونج"
(١٨٩٣-١٩٧٦)

سياسى صيني، اعتنق الماركسية ودعا إليها فى بلاده، وفى بلاد أخري، أعلن تأسيس الجمهورية الشعبية الصينية فى العام١٩٤٩، وانتخب رئيسا لها عام١٩٥٤، وظل مسيطرا على مقدرات الصين، حتى وفاته عام١٩٧٦.

(٢) انطون تشيكوف
Anton Tchekov
(١٨٦٠-١٩٠٤)

● مؤلف قصص قصيرة وكاتب مسرحى روسي
لفت أنظار العالم من خلال أعماله القصصية، والمسرحية-إلى عطفه الإنسانى على شخصياته، وهو يصور حياة أصحابها فى أدق مواقفها اليومية، الواقعية، فضلا عن شاعريته المرهفة، لغة وأسلوبا فى التفكير، وبساطة فى التعبير، وعمق الرؤى الإنسانية.

● ولد تشيكوف -من أسرة ريفية من عامة الشعب، أفرادها من الفلاحين الأرقاء-فى مدينة تاجنروج سنة١٨٦٠ ، وأنهى دراسته الثانوية وعمره ١٩ عاما، حيث التحق بكلية الطب"جامعة موسكو" ليتخرج منها بعد اربع سنوات طبيبا بدرجة امتياز، لكنه لم يتفرغ لمهنته كطبيب، نظرا لمواهبه الابداعية، التى اكتشفها بداخله، فى وقت مبكر من صباه، فلقد توزع بين عمله كطبيب وبين نشاطه الإبداعى كقاص وكاتب مسرحى ..مستجيبا بحميمية واخلاص، ومثابرة إلى نوازعه الإنسانية ، تجاه رسالته فى المجالين :تضميد جروح الجسد . . وجروح الروح.

● أولى مجموعاته القصصية، نشرها فى العام١٨٨٦ ، وكان فى السادسة والعشرين من عمره، وبهذه المجموعة التى صدرت بعنوان ("قصص منوعة")، انفتحت له أبواب الشهرة الأدبية على مصراعيها، فقد حصل بها -فور صدورها-على (جائزة بوشكين) التى تمنحها الأكاديمية الروسية، وهى جائزة تستمد قيمتها من قيمة امير شعراء روسيا، وواضع الحجر الاساسى فى الأدب الروسى Alexander Pushkin (١٧٩٩-١٨٣٧)
وتتوالى إبداعات تشيكوف بغزارة، بينما تتهافت عليه دور النشر الكبرى ومنابر الصحف ، و دور المسرح، لكى تخرج باعماله على الجماهير

المتعطشة إلى قراءته . . وإلى مشاهدة أعماله المسرحية، التى تبوأ بها مركزا مرموقا فى الأدب الكلاسيكى الروسى .

● عندما يتحدث تشيكوف عن أعماله، كان يقول:لقد أردت فقط أن أقول للناس، بصدق وصراحة:انظروا كيف تحيون حياة سيئة مملة، فمن المهم أن يفهم الناس ذلك ، لأنهم عندما يفهمون سيفكرون حتما فى اقامة حياة أخرى أفضل.

● وكان يقول للأدباء الشبان:لايجوز للكاتب أن يجلس بين أربعة جدران، لكى يستولد المواضيع من ذاته، وإنما عليه أن يرى الحياة والناس، وأن يلمس الواقع ، وأن يستمع إلى أحاديث القوم كما هي، لا كما يتخيلها ، وأن يسعى دائما إلى الأسفار والاحتكاك بمختلف العناصر والشعوب.

● فى العام ١٩٠٢ -أى قبل وفاته بعامين-انتخبته الأكاديمية الروسية عضوا بها ، مثلما انتخبت فى نفس الوقت مكسيم جوركي، الذى كان يصغر تشيكوف بتسع سنوات، غير أن القيصر(نيقولا الثاني) حرم جوركى من العضوية . وعندئذ رفض تشيكوف على الفور، عضوية الأكاديمية، احتجاجا على استبعاد جوركي، والتصرف المشين للقيصر!!.

●وكان تشيكوف قد اكتشف فى العام ١٨٩٧، أنه مصاب بداء الصدر، فراح يتنقل من مكان إلى مكان، طلبا للاستشفاء، حتى استقربه المقام فى (باردن باردن) وظل بها ، حتى وافته المنية فى يوليو ١٩٠٤ وعمره لم يتجاوز وقتها الرابعة والأربعين!.

● قال عنه صديقه تولستوى Leo Tolstoy الذى كان يكبره باثنتين وثلاثين عاما، وتوفى بعده بست سنوات:

-إن تشيكوف هو بوشكين روسيا . . فى النثر

● وقال عنه صديقه مكسيم جوركى Maxim Gorky فى ذكرى وفاته العاشرة: -لم يدرك أحد، بمثل هذا الوضوح والرهافة، مثلما أدرك تشيكوف ماساوية توافه الحياة، ولم يستطع أحد قبله أن يرسم للناس - بكل هذا الصدق- الصورة المشينة والكئيبة لحياتهم، فى الفوضى الجارية للواقع اليومى العادى .. ضيق الأفق!

● ترجمت أعمال تشيكوف إلى كل لغات العالم،ولم يفلت كاتب من كتاب القصة القصيرة، منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وطوال القرن العشرين، من سحر التأثر بهذا الكاتب التى عبر عن ماساوية توافه الحياة، بكل هذه الشاعرية والصدق، وعشقه للحياة

الأفضل من اجل الإنسان .. فى كل مكان.

● من أبرز مؤلفاته المسرحية: الخال فانيا، والأخوات الثلاث، وبستان الكرز ـ والأخيرة قدمت على مسرح الجيب القاهري، منذ ثلاثين عاما ، من ترجمة واخراج الشاعر والممثل نجيب سرور بعد عودته من دراسة المسرح فى الاتحاد السوفيتي.

(٣) وليام ساروريان
William Saroyan
(١٩٠٨ - ١٩٨١)

●مؤلف أمريكي

● توهجت مواهبه الأدبية فى سن مبكرة ، قاصا ، وروائيا، وكاتبا مسرحيا ـ وقد عرف ـ فى كل كتاباته ـ بمضمونه الإنساني، من خلال رؤية شاملة للإنسان، تجعل منه ، هو الإنسان ، فى كل زمان، ومكان.

● ولد ساروريان فى مدينة فريسنو، بولاية كاليفورنيا عام ١٩٠٨ ولم ينل غير قدر ضئيل من التعليم . . أتاح له ان يلتحق بعدد من الوظائف الدنيا طلبا للرزق ، بعد أن أرغمته ظروف حياته العائلية الصعبة على ترك الدراسة، لكنه بالرغم من جهامة الحياة من حوله .. كان يستشعر بداخله ضوءاً يشع بالفرح ، والتفاؤل ، والأمل ، فى أنه منذور للإبداع ، وان ميوله المبكرة إلى القراءة والتفرس ـ بفضول ونهم واستمتاع ـ فى إبداعات الرواد، ليست إلا مصابيح يهتدى بها، فى ضباب العوالم الغامضة، التى تتشابح بداخله، والتى سوف تتكشف بعد قليل عن مبدع موهوب ، واتته اللحظة الواثقة المتوهجة بالابداع، وهو يمسك القلم، ليكتب القصة القصيرة الأولي.

● وعمره ٢٤ عاما .. استطاع ساروريان أن يتبوأ بإبداعاته القصصية مكانا تحت الضوء، فى ساحة الحياة الأدبية فى أمريكا، عن طريق النشر فى الصحف، فلما بلغ الخامسة والعشرين، خرج على القراء بمجموعته القصصية الأولي(الشاب الجسور) ـ فما إن صدرت هذه المجموعة، حتى تلقفها القراء، المترقبون بالحماس والشوق ،هذا المبدع المجدد فى الأسلوب، والممتلئ حبا للإنسان ، وعطفا على طموحاته وتطلعاته . .أيا كان هذا الإنسان .. وبغض النظر عن الفوارق الطبقية .. والتناقضات الاجتماعية:.

● كان ساروريان ـ على نحو شخصى

ومتفرد- لصيق التفاعل ، بتفاصيل حياته اليومية الدقيقة التى يعيشها، إذ هو يرى أن الحياة تتعرى على حقيقتها ، وتكشف عن عورتها أكثر، من خلال تلك المواقف الإنسانية، الصغيرة والعابرة، التى تتبدى للآخرين تافهة وسطحية، فلا يعيرونها الانتباه، والالتفات!.

اى انه-وعلى نحو فلسفي- كان يرى أن الحياة يكمن معناها فى تلك اللحظات التى يتحد فيها الإنسان مع الكون، وأن هذا الاتحاد لايتبدى فقط فى الأحداث الكبار، وإنما فى كل لحظة من لحظات اليوم الذى يحياه الإنسان العادى .

وهذا يعنى أن سارويان كان يعيش الحياة باعتبارها اكتشافا ، لايتوقف ، وهكذا ، اتخذ من نفسه ميدانا لكل التجارب الإنسانية، المنسكبة لديه، عبر بوابة الفكر والوجدان، إذ هو جزء عضوى من هذا الكون، وعليه أن يدرك الكون كله من خلال ذاته!.

ومن هنا .. فإن معظم أعمال سارويان، اتسمت بمسحة دينية، أشار إليها النقاد، حين قالوا: إن اعماله فى جوهرها تشكل رحلة صوفية، يبحث من خلالها عن جوهر الوجود.

● طرق سارويان ابواب المسرح - وعمره لم يتجاوز الواحدة والثلاثين- حين كتب مسرحية طويلة من فصل واحد ، عنوانها(قلبى فى الأراضى العالية) وفيها يجسد معاناة الروح الشاعرة الباحثة عن الجمال، فى عالم تطحنه المادة.

ثم تلاها بعد ذلك عدد من المسرحيات، التى هيات له مكانا مرموقا فى عالم الدراما الانسانية: (زمن حياتك) و(أغنية قديمة عذبة للحبيبة) و(الشعب الجميل) و(أهل الكهف) و(سام ملك القفز) وجميعها تجيش بروح التفاؤل، والتاكيد على أن الإنسان، مها كان ضعيفا، فإن بداخله طاقات قادرة على قهر عوامل التطاحن الدائر من حوله، معتمدا فى ذلك على شفافيته، وصفاء روحه، وبصيرته المبصرة . . المضيئة.

ولقد أفضى سارويان بذلك . . عبر صراع درامى قادر على تجسيد هذه الأبعاد من داخل شخصيات إنسانية يتعاطف معها المشاهد ، ويحبها، ويانس إليها.

وفى كل ماكتب سارويان .. كان يعنيه بالدرجة الأولي، تجسيد الغربة التى يحياها إنسان العصر ، وحاجته الملحة إلى الحب ، والذوبان الحميم فى منظومة الآخرين!.

● من اشهر أعماله الروائية"الكوميديا

الإنسانية" ولعلها الرواية الوحيدة من أعمال ساروبان التى ترجمت إلى اللغة العربية.

(٤)ليونارد فرانك

Leonard Frank

١٨٨٢-١٩٦١

● روائى وكاتب مسرحى المانى يغلب على أسلوبه طابع الإثارة ، والحدة، والقسوة ،فى معالجته الدرامية، للموضوع الدائم، الذى سيطر عليه، واستأثر بكتاباته. . وهو "جبروت المجتمع البورجوازى ، ومدى سطوته وتدميره لروح الفرد.

● ولد ليونارد فرانك فى مدينة ورزبرج عام١٨٨٢ ، وتوفى عام ١٩٦١ بمدينة ميونيخ

● فى عام ١٩١٤- أثناء اندلاع الحرب العالمية الأولي- هرب من المانيا، إلى سويسرا وكان عمره إذ ذاك اثنتين وثلاثين عاما.

● وفى سويسرا ، صدرت روايته الأولي، بعنوان(عصابة اللصوص) وهى تحكى قصة مجموعة من الصبية المتمردين .. جمع بينهم حلم واحد، مؤداه(تاسيس مجتمع مثالي) وانتهى بهم الأمر إلى أن يصبحوا(مواطنين صالحين)!.

● فى عام ١٩١٥ أصدر روايته الثانية بعنوان(سبب الجريمة) وفيها يهاجم نظم التعليم الاجباري، ثم تليها بروايته الثالثة"الإنسان الطيب" التى يشجب فيها الحرب . .بعنف.

● فى عام ١٩١٨ ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد إلى وطنه المانيا ، وأصدر روايته الرابعة(رجل من الطبقة الوسطى) وفيها يعبر عن عقيدته بحتمية تاسيس المجتمع الاشتراكي.
وخلال الفترة نفسها . . كتب عمله الكبير (كارل وأنا) وهى رواية عاطفية تحكى قصة جندى يغوى زوجة واحد من زملائه!!

● فى عام ١٩٣٣ قام النازيون بمصادرة كتبه . . وأحرقوها!
ومن ثم ، هاجر ليونارد مرة أخرى ، إلى سويسرا ، ومنها اتجه إلى باريس

● فى عام ١٩٤٠ اعتقله النازيون لكنه بعد عدة محاولات فاشلة للهروب من المعتقل . تمكن فى المحاولة الأخيرة من الهرب . . ونجح فى الوصول إلى الولايات المتحدة الأمريكية

● فى العام ١٩٥٠ عاد إلى المانيا وبعد عودته بعامين نشر آخر أعماله الهامة (قلب على اليسار)
وقد قال عنها النقاد إنها سيرته الذاتية
لكنه لم يعترف بذلك!!

محتويات الكتاب

المترجم:

- عبد القادر حميدة
- شاعر ، وقاص ، وناقد مسرحى ، وكاتب صحفى فى مجالات
- الأدب ، والفن ، والثقافة
- يعمل بالصحافة ، منذ ١٩٥٧
- عضو نقابة الصحفيين منذ ١٩٦١
- ساهم فى عدد من الدوريات الأدبية العربية ، بالتاسيس ، وإدارة التحرير ،والكتابة .

من إصداراته الإبداعية ، والأدبية:

- رغم كل شيء : قصص قصيرة . الكتاب الماسى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة : ١٩٦٣
- أحلام الزورق الغريق : ديوان شعر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة : ١٩٦٧
- من أجل الشعب : مسرحية رومانية ، مترجمة عن الإنجليزية سلسلة مسرحيات عالمية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠
- ليال مسرحية : نقد وتحليل لعروض مسرح الستينيات ، كتاب الإذاعة والتليفزيون ، القاهرة ١٩٧٣
- القناع والوجه القديم : ديوان شعر ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٠
- ذكريات على الشاطئ : تأملات فى الأدب والفن . الكتاب الذهبى ، مؤسسة روزاليوسف ، القاهرة ١٩٨٩
- نجوم وحكايات : كتاب التعاون ، منشورات دار التعاون القاهرة ١٩٩٢
- ليالى الغضب : ديوان شعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣

أوراق بدون ترتيب :فى الأدب والفن والحياة ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٩

- نجوم وحكايات " طبعة ثانية " مهرجان القراءة للجميع ، مكتبة الأسرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ٢٠٠١

٤- بلبل واحد لا يصنع ربيعا

مختارات من القصة العالمية

ترجمة د. حمادة إبراهيم

أكتوبر ٢٠٠١

٥- شــــراك القـــدر

مسرحية : انطونيو بوريو بييخو

ترجمة : د. طلعت شاهين

نوفمبر ٢٠٠١

٦- الأرض الخراب وقصائد أخرى

شــــعر : ت . س. اليوت

ترجمة : د. لويس عوض

تقديـــم : د. ماهر شفيق فريد

ديسمبر ٢٠٠١

٧- في البحث عن ڤاليرى

تأليف : لــــيج مايكـــــلــز

ترجمـــة : مى رفعت سلطان

يناير ٢٠٠٢

٨- زديج أو القضاء (قصة شرقية)

تأليف : ڤولتيـــر

ترجمـــة : د. طه حسين

تقديم : نبيل فرج

فبراير ٢٠٠٢

٩- قصائد امرأة سوداء بدينة

شعر : جريس نيكولز

ترجمـــة : نانسى ســـمير

مارس ٢٠٠٢

رقم الإيداع : ٧٢٠٤ / ٢٠٠٢

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)

كل قصة من قصص هؤلاء الكتاب المبدعين.. زرعت شخوصها فى رأسى. تطالعنى وجوههم حينا من بين السطور، وأنا أتصفح بالذاكرة، أوراق شاب دون العشرين، يبحث عن ذاته المسكونة بالأصوات الغامضة، فى مواهب الآخرين، وإبداعهم.

وحينا تلوح لى تلك الوجوه، من بين الزحام فى مواكب الجماهير المتدفقة، وهى تلهث نحو غاياتها الإنسانية.. فى غابة الحياة!

إنها وجوه، تحمل أسماء أصحابها فى شهادات الميلاد بلغات مختلفة.. وتتحدث ألسنتها لهجات متباينة.. وتحيا أرواحها وأجسادها، فى أصقاع شاسعة، بعيدة، ومتفرقة!

لكنهم جميعا يحملون إلى الحياة شوقا واحدا ينبض فى صدر الإنسانية كلها، إنه شوق الإنسان فى كل مكان، إلى حياة إنسانية، تليق بآدميته، وكرامته، حياة لا يقبح جمالها الفقر، ولا يقهر عدلها الظالم، ولا يستبد بابنائها: المغامرون والأفاقون، والمتاجرون بالأرواح، والأرزاق، والأمان، وطمأنينة الاستقرار، ونشوة الحب!

فيالهم من كتاب إنسانيين، أولئك الذين يغمسون أقلامهم فى هموم الإنسان المترعة بأحزان الحياة.. وأفراحها معا!

ويالنا من محظوظين، أن نلقاهم، وأن نتعرف عليهم، وأن نقرأ أحزاننا وأحلامنا، وأشواقنا، فيما يكتبون.. ويبدعون.

عبد القادر حميدة



الأمل للطباعة والنشر

الثمن: جنيه واحد